مجلة معهد الإمام الشاطبي

الإمام السخاوي ومنهجه في شرح الشاطبية من خلال كتابه (فتح الوصيد في شرح القصيد)

د. هاشم بن محمد بن أحمد بالخير

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية-كلية التربية - جامعة جدة

- من مواليد عام ١٤٠٣هـ بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية.
- تخرج في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٢٥هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم القراءات كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٢٩هـ بأطروحته: "دراسة وتحقيق جزء من مخطوط: فتح المقفلات لما تضمنه نظم الحرز والدرة من القراءات"، كما نال منه شهادة الدكتوراه عام ١٤٣٦هـ بأطروحته: "دراسة وتحقيق مخطوط: بحر الجوامع شرح القصيدة المسماة بالطاهرة، من أول الكتاب إلى آخر باب سورة أم القرآن".
- من أعماله المنشورة: "الدفع عن القرآن الكريم"، "معايير الاختيار عند أبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٤٤هـ)".
- البريد الشبكي: hbalkhair@uj.edu.sa

الملخص

يعد كتاب «فتح الوصيد في شرح القصيد» من أهم الكتب التي تناولت حرز الأماني للإمام الشاطبي بالشرح، تلك القصيدة العظيمة الشأن عند القراء، يقول أبو شامة في بيان فضلها: «نبغت في آخر الدهر أعجوبة لأهل العصر، فنبذ الناس سواها من مصنفات القراءات، وأقبلوا عليها لما حوت من ضبط المشكلات وتقييد المهملات، مع صغر الحجم وكثرة العلم»[(١)]. وقد اكتسبت هذه القصيدة شهرتها عندما قام الإمام علم الدين السخاوي بشرحها، ويُعلي من قيمة الكتاب كون المؤلف تتلمذ على الإمام الشاطبي وسمع منه القصيدة وعرضها عليه مرارًا واستفاد منه معانيها التي أودعها إياها، **ويهدف البحث إلى:** بيان المنهج الذي بني عليه الإمام السخاوي شرحه لهذه القصيدة العظيمة الشأن عند علماء القراءات، ومما ينبغي الإشارة إلى فهمه من عنوان الكتاب -فتح الوصيد- كأن المؤلف يريد أن يقول لمن بعده أنه فتح الباب لمن أراد أن ينهل من هذه القصيدة ويستكشف معانيها، فليدخل من شاء.

ويخلص البحث إلى أن هذا الكتاب كان المفتاح لمن أتى بعده ممن تصدى لشرح القصيدة، ويستفاد منه في الاحتجاج للقراءات ودفع الطعون عنها، ويشبه الكتاب في طريقة تأليفه الأمالي كما عبر عن ذلك أحد الباحثين وليس شرحًا بالمعنى الحقيقي للشرح لأنه لم يتتبع كل كلمة بالشرح بل كان يكتفي في بعض المواطن بما سبق ذكره[(٢)].

الكلمات المفتاحية: فتح الوصيد، السخاوي، الشاطبية.

---

(١) إبراز المعاني ص ٨ .

(٢) فتح الوصيد في شرح القصيد، لعلم الدين السخاوي، تحقيق ودراسة لسورة الفاتحة والبقرة، ص ٦٠. بحث دكتوراه سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م تحت رقم (١٥٨)، غير منشور بكلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر بطنطا، أ. د. نبيل محمد إبراهيم الجوهري.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي المُؤَيَّد من ربه بالمعجزات الباهرة التي من أجَلِّها القرآن الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فتعلقت قلوب حفاظ القرآن الكريم بقصيدة الإمام الشاطبي، وشُغِفت أرواحهم بحفظها ودَرْسِها، وتنافسوا في روايتها بالسند إلى ناظمها، وقراءة القرآن العظيم بمُضَمَّنِها، ولقد رزق الله عز وجل هذه المنظومة المباركة القبول والشهرة إلى يومنا هذا، يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله: «ولقد رُزِق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول: ولا في غير هذا الفن، فإنني لا أحسب أن بلدًا من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به»[(١)].

ولقد تسابق أئمة هذا الفن إلى شرحها وبيانها وفكِّ رموزها، وكثرت التصانيف والشروح عليها، وتعددت مناهج أصحابها في شرح الشاطبية، ومن بين هذه الشروح: كتاب «فتح الوصيد بشرح القصيد» للإمام السخاوي، وهذا بحث مختصر في الإمام علم الدين السخاوي ومنهجه في شرح الشاطبية. أسأل الله تبارك وتعالى أن أبينه على الوجه المطلوب، وأن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعل عملي خالصًا لوجه الله عز وجل، والله تعالى من وراء القصد.

أدبيات البحث:

أولًا: بالنسبة للإمام علم الدين السخاوي المصنف.

قامت دراسات حول الإمام علم الدين السخاوي وجهوده في اللغة ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن وترجيحاته نذكر منها التالي:

(١) غاية النهاية في طبقات القراء، ٢/ ٢٢.

- الجهود اللغوية للإمام علم الدين السخاوي مع تحقيق كتابه في التفسير، بحث دكتوراه غير منشور للدكتور/ أحمد طه وهبة رضوان. كلية دار العلوم جامعة الفيوم ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، جمهورية مصر العربية.

المشهور عن الإمام السخاوي أنه مقرئ ذو باع طويل في الإقراء وفي علوم القرآن، وهو مع هذا كان من الأفذاذ في مجال النحو، تتلمذ على يديه الكثير من العلماء المشهورين في النحو، وأخص منهم بالذكر "ابن مالك" النحوي صاحب الألفية المشهور رحمه الله تعالى.

ومن الدراسات التي قامت حول الإمام السخاوي أيضًا:

- الإمام علم الدين السخاوي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه (تفسير القرآن العظيم). مذكرة ماجستير غير منشورة من إعداد الباحث/ عبد الرحيم ثابت، جامعة الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، جمهورية الجزائر.

- الإمام علم الدين السخاوي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن جمعًا ودراسة، مذكرة ماجستير غير منشورة للباحث مختار قديري، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، شعبة العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمة الخضر، الوادي ١٤٣٦هـ جمهورية الجزائر.

- ترجيحات الإمام السخاوي في التفسير. رسائل متعددة في قسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية.

ثانيًا: بالنسبة لكتاب فتح الوصيد:

ظل كتاب فتح الوصيد مخطوطًا حتى عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م حيث قام الباحث الدكتور نبيل محمد إبراهيم الجوهري بتحقيق ودراسة الكتاب من أوله إلى آخر سورة البقرة في بحثه للدكتوراه المقدم إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية

أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر بمصر، ثم في عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م قام الباحث الدكتور أحمد عدنان الزعبي بتحقيق جميع الكتاب من خلال بحث الدكتوراه المقدم في جامعة القرآن والعلوم الإسلامية بأم درمان بالسودان. وقد قامت بطباعة البحث مكتبة البيان بدولة الكويت الطبعة الأولى في عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

ثم قام من بعده الدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري بتحقيق الكتاب ودراسته في أطروحة الدكتوراه في الآداب شعبة الدراسات الإسلامية بجامعة محمد الخامس بالرباط في عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، وقامت مكتبة الرشد بالرياض بطباعة البحث في عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، كما طبعت الكتاب دار الصحابة بطنطا في مصر الكتاب بتحقيق جمال شرف، وقد اعتمدت اعتمادًا كبيرًا على تحقيق مولاي الإدريسي.

كما قامت دراسات حول كتاب فتح الوصيد منها:

- التوجيه الصرفي للقراءات القرآنية في «فتح الوصيد في شرح القصيد». بحث ماجستير للباحث/ أشرف عدنان حسن كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، جمهورية العراق ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٨م، وقد طبعت الكتاب دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد في هذا العام ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- منهج الإمام السخاوي في الرد على الطاعنين في القراءات القرآنية من خلال كتابه «فتح الوصيد في شرح القصيد». بحث ماجستير للباحث/ علي أحمد خلف عبدالكريم، كلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية، جامعة المنيا، مصر ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

ولم تقم دراسة منفصلة حول منهج الإمام السخاوي في كتابه «فتح الوصيد في شرح القصيد»، ولذلك أحببت أن أقوم بهذه الدراسة حول الإمام السخاوي

ومكانته العلمية ومنهجه في كتابه فتح الوصيد، مستفيدًا من الدراسات التي كُتبت عنه وعن مؤلفه.

مشكلة البحث:

شاع في أوساط علماء القراءات وطلاب العلم في هذا الفن أن كتاب «فتح الوصيد في شرح القصيد» هو أول شرح لحرز الأماني ووجه التهاني، ويرجع ذلك إلى ما جاء في غاية النهاية لابن الجزري في ترجمة الإمام السخاوي قوله: «وألّف من الكتب شرح الشاطبية وسماه فتح الوصيد، فهو أول من شرحها، بل هو -والله أعلم- سبب شهرتها في الآفاق، وإليه أشار الشاطبي بقوله: يقيض الله لها فتى يشرحها»[(١)]. ومن قبله قال أبو شامة: «أن شرح الإمام السخاوي للشاطبية سبب شهرتها»[(٢)]. ولما كان هذا الشرح بهذه المثابة وكان صاحبه ممن أخذ العلم على الإمام الشاطبي وكان أعرف الناس بمقاصد أستاذه في نظمه؛ استدعى ذلك أن نتعرف على شخص الإمام علم الدين السخاوي، وأن نَستقرأ منهجه من خلال دراسة كتابه «فتح الوصيد في شرح القصيد».

هدف البحث:

- لعل الهدف الأول من هذا البحث إبراز قيمة هذا العَلَم ومكانته العلمية في الإقراء، وبيان جهوده المتميزة في العلوم الأخرى مثل علم اللغة وغيره من العلوم.

- توجيه النظر إلى تراث هذا العالم الفذّ، والذي لا يزال الكثير منه يحتاج إلى خدمة من طلاب العلم وأهل المعرفة.

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥٧٠.

وعلى الرغم من أن ابن الجزري قال ذلك إلا أنه لم يكن متيقنًا من ذلك، حيث قال في ترجمة عبد الرحمن بن "بياض" أبو القاسم الأزدي التونسي المعروف بابن الحداد: «تحول في آخر عمره إلى الغرب فسكن مراكش وعمل شرحًا للشاطبية. قلت: ويُحتمل أن يكون هو أول من شرحها». غاية النهاية ١/ ٣٦٦.

(٢) إبراز المعاني ص/ ٨ .

- توضيح منهجه في الإقراء الذي يُعلي من قيمة السماع في الإقراء معتمدًا على الأصل في أن القراءة سنة متبعة ولا مجال فيها للرأي والقياس المحض.

- **منهج البحث:** استخدم الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.
- **خطة البحث** تتكون من:

مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما **المقدمة**: فتتضمن تعريف موجز بالبحث.

وأما **المبحث الأول**: فيتضمن التعريف بالإمام السخاوي، ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: أهم شيوخه.

المطلب الرابع: مكانته العلمية وأهم مؤلفاته.

المطلب الخامس: أهم تلاميذه.

المطلب السادس: وفاته.

وأما **المبحث الثاني**: فيتضمن منهج الإمام السخاوي في شرح الشاطبية، من خلال كتاب (فتح الوصيد)، ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: أهمية كتاب (فتح الوصيد في شرح القصيد).

المطلب الثاني: منهج الشرح والأسلوب.

المطلب الثالث: الاعتناء بتوجيه القراءات القرآنية.

المطلب الرابع: رفضه تفضيل إحدى القراءتين على الأخرى.

المطلب الخامس: دفع المطاعن عن القراءات المتواترة.

المطلب السادس: منهج السخاوي في التعامل مع آراء من سبقوه.

المطلب السابع: موقفه من زيادات القصيد.

وأما **الخاتمة**: فتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وتوصيات البحث، والمصادر التي اعتمدت عليها.

واللهَ نسأل أن يرزقنا الإخلاص والتوفيق والسداد في أقوالنا وأفعالنا، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

المبحث الأول

التعريف بالإمام السخاوي

أ – المطلب الأول: اسمه ونسبه:

هو الإمام العلاَّمة علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غَطَّاس، علَم الدين، أبو الحسن الهَمْداني السخاوي[(١)] المقرئ المُفسِّر اللُّغوي الشافعي، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق[(٢)].

ب – المطلب الثاني: مولده ونشأته:

ولد السخاوي سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة[(٣)]، والمتتبع للمصادر التي قامت بترجمة حياة الإمام السخاوي يجد أنها لم تبسط القول في بيان نشأته وطفولته وصباه وطلبه العلم في هذه المرحلة من حياته، لكن كل ما نعلمه من خلال هذه المصادر أنه طلب العلم، فأتقن مبادئه في (سخا) مسقط رأسه –وهي من أعمال مصر في محافظة الغربية– على شيخه أبي إسحاق إبراهيم بن جبارة السخاوي المالكي، ثم شد الرحال إلى الإسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وسمع من أبي الطاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم السَّلفي، كما سمع من أبي الطاهر بن عوف الزهري الإسكندراني المالكي، ثم انتقل إلى مصر–القاهرة– فزاد حرصه على ملازمة الشيوخ، فسمع من أبي الجيوش عساكر بن علي، وأبي القاسم البوصيري، وإسماعيل بن صالح بن ياسين، وغيرهم، ولما وصل الإمام الشاطبي إلى مصر، واشتهر أمره، وذاع صيته، لازمه السخاوي مدة طويلة، وقرأ عليه القرآن الكريم

---

(١) نسبة إلى (سخا) قرية بأسفل مصر. ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى ٤/ ٥٥٦.

(٢) ينظر: غاية النهاية ١/ ٥٦٩، معرفة القراء الكبار ٣٤٠، بغية الوعاة ٢/ ١٩٢.

(٣) غاية النهاية: ١ / ٥٦٩.

بالروايات، وتلقَّن منه قصيدتيه المشهورتين: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع (الشاطبية)، وعقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في رسم القرآن، وأتقن عليه علم القراءات والنحو واللغة[(١)].

جـ – المطلب الثالث: أهم شيوخه:

لقد كان السخاوي ﷺ حريصًا على الأخذ من كبار العلماء والتلقِّي من فضلاء لمشايخ في جميع الأقطار، وقد ظهر أثر هؤلاء الشيوخ –خصوصًا الشاطبي– جليًّا في تكوين شخصيته العلمية، التي أهَّلته إلى كمال التصدُّر للإقراء، وحسن التصنيف، وجودة التأليف، **ومن أهم شيوخه الذين تلقى منهم:**

أ. القاهرة :

- أبو الطاهر إسماعيل بن أبي التقى صالح بن ياسين بن عمران المصري المقرئ (٥٢٤-٥٩٦هـ).
- عساكر بن علي بن اسماعيل أبو الجيوش المصري المقرئ النحوي الشافعي (٤٩٠-٥٨١هـ).
- أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب ابن ثابت الأنصاري الخزرجي المنستيري الأصل المصري المولد والدار المعروف بالبوصيري (٥٠٦-٥٩٨هـ).
- الإمام أبو محمد القاسم بن فِيْرُّه بن أحمد الشاطبي(٥٣٨ -٥٩٠هـ)، وغيرهم.

ب. الإسكندرية:

- الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد إبراهيم السِّلفي (٤٧٥-٥٧٦هـ) .
- أبو الطاهر بن عوف القرشي الزهري الإسكندري (٤٨٥-٥٨١هـ).

(١) غاية النهاية: ١/ ٥٧٠.

ج. دمشق:

- القاسم بن عساكر بهاء الدين أبو محمد القاسم بن علي بن حسن بن هبة الله الدمشقي (٥٢٧ -٦٠٠هـ).
- أبو اليمن الكندي، وهو أبو اليمن زيد بن الحسن بن الحسن بن سعيد الحميري، تاج الدين الكندي (٥٢٠-٦١٣) ، وغيرهم.[١]

د – المطلب الرابع: مكانته العلمية، وأهم مؤلفاته:

اجتمع للإمام السخاوي من ضروب العلم ما قل أن يجتمع لغيره، ولما كان ذا عقل حصيف وذكاء نير وحفظ متقن برع في الفقه والقراءات، والتفسير والحديث، واللغة والأدب والشعر كما حاز حب الناس وامتلك قلوبهم قال ابن خلكان «وكان للناس فيه اعتقاد عظيم»، وقال: «ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع لأجل القراءة»، وقال: «ورأيته مرارا يركب بهيمة وهو يصعد إلى جبل الصالحين، وحوله اثنان وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر والكل في دفعة واحدة وهو يرد على الجميع»[٢] وقال ابن كثير: «شيخُ القُرَّاء بدمَشْقَ، ختَم عَلَيه أُلُوفٌ من النَّاس، وكان قد قرأ على الشَّاطِبِيِّ وشرح قَصِيدَتَه»[٣]، و يقول عنه الذهبي: «كان إمامًا في العربية، بصيرًا باللغة، فقيهًا مفتيًا، عالمًا بالقراءات وعللها، مُجوِّدًا لها، بارعًا في التفسير» وقال أيضًا: «وكان ديِّنًا خيرًا متواضعًا، مطرحًا للتكلف، حلو المحاضرة، مطبوع النادرة، حاد القريحة، من أذكياء بني آدم. وكان وافر الحرمة، كبير القدر، محبب إلى الناس»[٤] وقال السيوطي: «كان إمامًا علامة،

---

(١) ينظر: غاية النهاية: ١/ ٥٧٠ بتصرف.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٤١ وما بعدها. وقد أنكر الإمام الذهبي هذه الطريقة في التحمل فقال: «قلت ما أعلم أحدًا من المقرئين ترخص في إقراء اثنين فصاعدًا إلا الشيخ علم الدين وفي النفس من صحة تحمل الرواية على هذا الفعل شيء فإن الله تعالى ما جعل لرجل من قلبين في جوفه». معرفة القراء الكبار ٣٤١ .

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ١٩٨، وينظر: طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٢٩٧.

(٤) تاريخ الإسلام ٤٧/ ١٩٣ وما بعدها.

مقرئًا محققًا مجوّدًا، بصيرًا بالقراءات وعللها، إمامًا في النحو واللغة والتفسير، عارفًا بالفقه وأصوله، طويل الباع في الأدب؛ مع التواضع والدين والمودة وحسن الأخلاق، من أفراد العالم وأذكياء بني آدم»[(١)].

من كل هذه النقول تظهر مكانة الإمام السخاوي العلمية.

ومن أهم مؤلفاته:

- فتح الوصيد بشرح القصيد: وقد ذكره ياقوت الحموي باسم (الوحيد في شرح القصيد)، وابن خلكان بعنوان (فتح الوحيد في شرح القصيد)[(٢)].
- الوسيلة إلى كشف العقيلة: ويعتبر هذا الكتاب عمدة في علم الرسم، فهو شرح لمنظومة شيخه الإمام الشاطبي عقيلة (أتراب القصائد في أسنى المقاصد).
- جمال القراء وكمال الإقراء: ضمَّنه عدة مصنفات، منها: علم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء، مراتب الأصول وغرائب الفصول، الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ، منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق.
- شرح قصيدة الشاطبي في ظاءات القرآن: توجد نسخة منها في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم: ٢/ ٣٩١٦.
- هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب: منظومة في متشابه كلمات القرآن مرتبة على حروف المعجم.
- عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد: منظومة في تجويد القرآن الكريم، وتسمى أيضًا بنونية السخاوي، وتقع في أربع وستين بيتًا.
- كتاب التفسير: وقد وصل فيه إلى سورة الكهف[(٣)].

---

(١) بغية الوعاة ٢/ ١٩٢.

(٢) معجم الأدباء ٥/ ١٩٦٣، وذكره ابن خلكان تحت مسمى "فتح الوحيد في شرح القصيد قال: وهي قصيدة الشاطبي في رسم المصحف وهو وهم منه. "ينظر وفيات الأعيان" ٧/ ٣٢٢ والكتاب مطبوع.

(٣) وعلى الرغم من هذا القول إلا أنه وجد مطبوعًا كاملًا تحت عنوان تفسير القرآن العظيم، بتحقيق=

هـ – المطلب الخامس: أهم تلاميذه:

لقد تتلمذ على يد السخاوي علماء كثيرون؛ منهم من طارت شهرته وطبقت الآفاق، **ومن هؤلاء:**

- زين الدين الزواوي وهو عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي المالكي (٥٨٩ -٦٨١هـ) .
- الإمام شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، صاحب كتاب: (إبراز المعاني من حرز الأماني) (٥٩٩- ٦٦٥هـ).
- شمس الدين أبو الفتح الأنصاري، وهو محمد بن علي بن موسى شمس الدين (ت ٦٥٧هـ).
- الإمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، صاحب الألفية المشهورة في النحو(٦٠٠ ـ ٦٧٢هـ)، وغيرهم كثير[(١)].

و – المطلب السادس: وفاته:

توفي السخاوي رحمه الله ليلة الأحد، ثاني عشر جُمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وستمائة من الهجرة، وقد شهدت هذه السنة رحيل ثلة من مشاهير علماء الإسلام، كالمحدِّث الحافظ أبي عمرو ابن الصلاح، والحافظ الضياء المقدسي، وغيرهما[(٢)].

=الدكتور/ موسى علي موسى مسعود، والدكتور/ أشرف محمد عبد الله القصاص، طبعته دار النشر للجامعات في عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، وقد استدل المحققان بأدلة على نسبة جميع التفسير إلى الإمام علم الدين السخاوي، وناقشا في المقدمة ادعاء من قال أنه لم يكمل التفسير وأنه توقف عند سورة الكهف بأدلة كثيرة لإثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه، ثم أوضحا في النهاية أن ما ذكر من الأدلة على نسبة الكتاب هو ما أدى إليه اجتهادهما، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) غاية النهاية: ١/ ٥٧٠ بتصرف، معرفة القراء الكبار: ٣٤١ بتصرف.

(٢) غاية النهاية: ١/ ٥٧٠.

المبحث الثاني

منهج الإمام السخاوي في كتاب (فتح الوصيد)

المطلب الأول: أهمية كتاب (فتح الوصيد في شرح القصيد):

لقد استمد كتاب (فتح الوصيد) بعضًا من قِيمَتِه من قيمة قصيدة (حرز الأماني) ذاتها، لا سِيَّما وأن السخاوي تتلمذ على الشاطبي مباشرة، ولازمه مدة ليست بالقليلة، بل قيل إن السخاوي ﷺ كان السبب في شهرة قصيدة (حرز الأماني)، نص على ذلك أبو شامة[١]. وكذا الإمام ابن الجزري فقال: «فهو أول من شرحها، بل هو -والله أعلم- سبب شهرتها في الآفاق، وإليه أشار الشاطبي بقوله: يقيض الله لها فتى يشرحها»[٢]. وقد شاع أن الإمام السخاوي هو أول من شرح "الشاطبية"؛ لكن لا يمكن الجزم بذلك لوجود شرح للشاطبية لأبي العباس أحمد بن علي الأندلسي المتوفى سنة (٦٤٠هـ) بعنوان "المهند القاضبي في شرح قصيد الشاطبي" [٣]، لكن اتفق الكافة من علماء القراءات على أن من أسباب شهرة "الشاطبية "شرح الإمام السخاوي لها بكتاب فتح الوصيد، وفي نظري أن ذلك راجع لمكانة السخاوي العلمية وشهرته الذائعة في عصره.

ويمكن إجمال جوانب أهمية كتاب (فتح الوصيد) في النقاط الآتية:

١- تتلْمُذ السخاوي على الشاطبي مباشرة، وملازمته الطويلة له، لذلك فهو

---

(١) حيث قال: «وإنما شهرها بين الناس وشرحها، وبيَّن معانيها وأوضحها، ونبَّه على قدر ناظمها، وعرَّف بحال عالمها؛ شيخنا الإمام العلامة علم الدين، بقية مشايخ المسلمين، أبو الحسن علي بن محمد...»، انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع.

(٢) غاية النهاية ١/ ٥٧٠.

(٣) قام بدراسته وتحقيقه الدكتور/ يوسف بن مصلح مهل الردادي لنيل درجة الدكتوراه من قسم القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى سنة ١٤٣٤هـ.

أعرف بمقاصد شيخه في نظمه، وقد عرض عليه القصيدة مرارًا واستفاد منه في إيضاح بعض معانيها.

٢- مكانة الإمام السخاوي العلمية في مجال القراءات، إضافة إلى ما اشتهر به من الورع والتقوى جعل للكتاب أهمية عند طلاب هذا العلم.

٣- احتفاظ شرحه بفوائد جمة في القراءات القرآنية، ومعاني القرآن استفادها الإمام السخاوي مما كان موجودًا في عصره ولم يتوفر لنا الآن لفقده، وضياعه.

٣- تأثيره فيمن جاء بعده من شراح الشاطبية، كأبي شامة والجعبري وغيرهم.

٤- اعتناؤه بالقراءات وتوجيهها وتوظيفها وإظهار عللها وحججها.

هذا فضلا عن جلالة مؤلِّفه ومبلغه من العلم وعُلُوِّ منزلته.

المطلب الثاني: منهج الشرح والأسلوب:

افتتح الإمام السخاوي شرحه بمقدمة، أهم سماتها ما يلي:

* استهلالها بالحَمْدَلَة والشهادتين والثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله ﷺ.

* ثم ذكر الغرض من تأليفه هذا الكتاب.

* ثم ذكر نُبَذًا من فضائل الإمام أبي القاسم الشاطبي ومولده ووفاته وشيوخه رضي الله عنهم.

* ثم عرض السند المتصل للإمام الشاطبي بالقراء السبعة، عن طريق شيخيه: أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفزي، وأبي الحسن بن هذيل عن أبي داوود عن أبي عمرو الداني رحمهم الله تعالى.

* ثم ذكر بعض الأبيات الشعرية المتنوعة التي أملاها عليه الإمام الشاطبي رحمه الله.

* ثم ذكر الغرض من تأليفه، وبين أن هذا العمل قربة إلى الله عز وجل، وإحساسه بأهمية القصيدة وتحقيقًا لرغبة شيخه في شرحها.

ثم شرح الإمام السخاوي ﵀ الأبيات بيتًا بيتًا، على طريقة ترتيب الناظم بأبوابه وفصوله، متَّبِعًا في شرحه المنهج التالي:

١/ عدم وقوفه عند رموز القراء الكلمية أو الحرفية الواردة في الأبيات، لتفسيرها وبيان كيفية قراءتهم لـ (الكلمة القرآنية):

وقد اتَّبع السخاوي هذا المنهج في الأعم الأغلب من كتابه، خلافًا لما فعله كثير من شُرَّاح الشاطبية من بعده، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن السخاوي يرى أن كل من يقرأ شرحه يكون على علم بالقصيدة ورموزها، وما اشتملت عليه من قراءات.

ومن الأمثلة على ذلك من الأصول والفرش:

أولًا: من الأصول:

عند شرحه للبيتين (١٨٧/ ١٨٨) وهما:

وَهَمْزَةُ أَذْهَبْتُمْ فِي الاَحْقَافِ شُفِّعَتْ بِأُخْرَى كَمَا دَامَتْ وِصَالًا مُوَصَّلَا

وَفِي نُونَ فِي أَنْ كَانَ شَفَّعَ حَـمْـزَةٌ وَشُعْبَةُ أَيْضًـا وَالدِّمَشْقِي مُسَهِّلَا

قال السخاوي ﵀: «أشار بقوله " كَمَا دَامَتْ وِصَالًا مُوَصَّلَا" إلى أنها كذلك مشَفَّعة بهمزة الاستفهام في مواضع من القرآن كثيرة، نحو ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ [المجادلة: ١٣] وشبهه، والعرب تُوَبِّخ بهمزة الاستفهام تارة، وتستغني عنها تارة، لأنها ليست للاستخبار، فالتوبيخ يحصل بهمزة الخبر، كقولك: يا فلان ! أتيت مُنْكَرًا»[(١)].

ثم قال «من قرأ "ءَأَن كَانَ" فمعناه: أَلِأن كان ذا مال يطيعه، و"الدمشقي": معطوف على ما قبله، و"مسهلا": منصوب على الحال، أي: وشفَّع الدمشقي في حال تسهيله»[(٢)].

(١) فتح الوصيد في شرح القصيد ٢/ ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٩٤.

ثانيًا: من الفرش:

عند شرحه لأول بيتين من سورة هود، (٧٥٥- ٧٥٦) وهما:

وَإِنِّي لَكُمْ بِالفَتْحِ حَقَّ رُوَاتِهِ وَبَادِئَ بَعْدَ الدَّالِ بِالهَمْزِ حُلِّلَا

وَمِنْ كُلٍّ نَوِّنْ مَعْ قَدَ افْلَحَ عَالِمًا فَعُمِّيتِ اضْمُمْهُ وَثَقِّلْ شَذًا عَلَا

قال رحمه الله: «"أني" بالفتح، أي: أرسلناه بأني، أي: متلبسًا بأني، و﴿أَن لَّا نَعۡبُدُوٓاْ﴾ [هود: ٢٦] بدل منه، والكسر على: أرسلناه بأن لا تعبدوا، فقال لهم: إني، و"بادئ" بالهمز: أول الرأي وبدؤه، و"بادي": إما أن يكون مخففًا منه، وإما أن يكون من "بدا": إذا ظهر، وهو عليهما: منصوب على الظرف، أي: وقت حدوث أول رأيهم، أو وقت حدوث ظاهره، فحُذِف، وأُقِيم المضاف إليه مقامه».[(١)] ثم قال: «﴿مِن كُلٍّ﴾ [هود: ٤٠] بالتنوين: أي: من كل شيء زوجين، وهو مفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾، و﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ تأكيد، و﴿كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ﴾ مضاف، و﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ مفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾، "فَعُمِّيَتْ": أُخْفِيَتْ، وعَمِيَتْ: خَفِيَتْ، واسْتُعِير العمى للبينة إذا لم يُهْتَدَى بها، لكونها بمنزلة الأعمى في كونه لا يُهْدَى، كما اسْتُعِير لها البصر في وصفها بأنها مبصرة وبصيرة، كما في قوله: ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾، وقال الفراء: عُمِّي عليَّ الخبر وعَمِي، بمعنى واحد».[(٢)]

على أن السخاوي أحيانا ما يتعرَّض لتفسير الرموز، وبيان كيفية قراءة القراء للكلمة القرآنية، ولكن بإشارة عابرة، دون أن يحيل الرمز لقارئه، كما فعل بعض شراح الشاطبية.

فعند شرحه للبيت (٢٦٠) باب الإظهار والإدغام، وهو:

فَإِظْهَارُهَا أَجْرَى دَوَامَ نَسِيْمِهَا وَأَظْهَرَ رِيًّا قَوْلَهُ وَاصِفٌ جَلَا

(١) فتح الوصيد ٢/ ٩٨٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٩٨٥.

قال ﷺ: «...وتفسير الرمز: أن نافعًا وابن كثير وعاصمًا أظهروا ذال (إذ) عند جميع هذه الحروف، وأظهر الكسائي وخلاد عند الجيم منها فقط». [(١)]، لكن ذلك نادر جدًا، والأغلب الأعم عدم تعرُّضه للرموز، كما ذكرنا أولا.

٢/ تصديره كل باب من أبواب الأصول بمقدمة تتضمن التعريف بالباب وما يتعلق به:

مثال ذلك: قوله في أول باب الإدغام الكبير «الإدغام: الإدخال للشيء في الشيء، ومنه: أدغمت اللجام في فم الفرس، إذا أدخلته فيه، وأدغمت رأس الفرس في اللجام: كذلك، قال الشاعر:

...بِمُقْرَبَاتٍ بَأَيْدِيهِمْ أَعِنَّتُهَا خُوص إِذَا فَزِعُوا أُدْغِمْنَ في اللُّجُمِ [(٢)]

وسُمِّي الإدغام الكبير بهذا: لاستيعابه قواعد الإدغام...» [(٣)].

وقال في صدر باب الفتح والإمالة: «الإمالة: انحراف النطق بالحرف المال عن مخرجه، مأخوذة من: أَمَلْت الرمح وشبهه، إذا أزلته عن استقامته، فلما أشبهت الألف الرمح في استقامته، وعوجت عن استقامتها في النطق، سُمِّي ذلك: إمالة، والغرض بها: تشاكل اللفظ بتقريب الحركات والحروف بعضها من بعض، ليتَّحد عمل اللسان...» [(٤)].

وهكذا سائر أبواب الأصول إلا سورة أم القرآن، فإنه صدَّرها بمقدمة، بيَّن فيها أن القراءات السبعة كلها متواترة، وأنه لا يجوز تفضيل إحداها على الأخرى، وأن الغرض من توجيه القراءات إظهار وجهها في العربية، لا نصر إحداها

(١) فتح الوصيد ٢/ ٢٧٥.

(٢) البيت لسعادة بن جؤية الهذلي. ينظر: ديوان الهذليين ١/ ٢٠٣ .

(٣) فتح الوصيد ٢/ ٢٢١ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤١٧.

وإبطال الأخرى[(١)].

٣/ الاعتناء بألفاظ الأبيات اشتقاقًا ولغةً وصرفًا وإعرابًا:

فعلى سبيل المثال: في قول الشاطبي البيت رقم (٧):

وَقَارِئُـهُ الـمَرْضِيُّ قَـرَّ مِثَالُـهُ كَالُاتْرُجِّ حَالَيْـهِ مُرِيحًا وَمُوكِلَا

يقول السخاوي رحمه الله: «"قَرَّ" بمعنى: استقر، والأترنج: لغة في الأترج، وأراح يريح فهو مريح: إذا عبق، وآكَلَ الزرعَ والنخلَ وكلَّ شيء: إذا أَطْعَمَ، وقارئه: مبتدأ، والمرضي: خبره، ويجوز أن يكون صفة، و "قَرَّ" وما بعده الخبر، ... وحاليه: بدل من الأترج، ومريحا وموكلا: منصوب على الحال»[(٢)].

وأيضا: قوله في شرح قول الشاطبي البيت رقم (٥٧٢):

وَحُرِّكَ عَينُ الرُّعْـبِ ضَمًّا كَمَا رَسَا وَرُعْبَـاً وَيَغْشَـى أَنَّثُوا شَائِعَاً تَلَا

قال السخاوي: «الرُّعْب والرُّعُب لغتان، وقيل: الأصل التحريك فأُسْكِن تخفيفًا كالرُّسْل، وقيل: بل الأصل الإسكان، وإنما ضُمَّ إتباعًا، كما قالوا: الصُّبُح في الصُّبْح، ومعنى قوله: "كما رسا": أي كما ثبت واستقر،... وقوله "شائعا": منصوب على الحال من الضمير في "تلا"، والضمير في "تلا": عائد على ﴿ يَغۡشَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] و"تلا" بمعنى: تبع، لأنه تبع ما قبله، وتقديره: وتغشى أَنَّثوا، ثم قال: تلا شائعًا ما قبله، ويجوز أن يكون حالًا من مفعول "أنثوا" المحذوف، والتقدير: أَنَّثوه شائعًا، و"تلا" أيضا: في موضع الحال، أي تاليًا»[(٣)].

٤/ الاعتناء بالمعاني الإشارية التي اشتملت عليها قصيدة (حرز الأماني):

من المعلوم أن قصيدة (حرز الأماني) تتضمن معاني رائقة، فضلًا عن القراءات

(١) ينظر ما قاله السخاوي في صدر سورة أم القرآن، فتح الوصيد ٢/ ٢١٣.

(٢) ينظر: فتح الوصيد، مقدمة المحقق ١/ ١٨٩.

(٣) فتح الوصيد ٢/ ٧٩٩.

السبع، ولقد اجتهد علم الدين السخاوي ﵀ في إظهارها وتجليتها، فمن ذلك: ما قاله في البيت (١٤٤)، وهو:

وَلِلدَّالِ كِلْمٌ تُرْبُ سَهْـــلٍ ذَكَـا شَـذَا ضَفَـــا ثمَّ زُهْـدٌ صِدْقُهُ ظَاهِرٌ

قال: «...ومعنى هذا الكلام: ترب سهل بن عبد الله التستري ... »[(١)].

وأيضا: قوله في البيت (٢٧٧)، وهو:

وَإِدْغَامُ بَاءِ الجَزْمِ فِي الفَـاءِ قَدْ رَسَـا حَمِـيداً وَخَيِّرِ فِي يَتُبْ قَاصِـدَاً وَلا

قال ﵀: «..... فمن أدغم فإدغامه قد ثبت حميدًا، كما قال: "قد رسا حميدا"، وأشار بذلك: إلى ردِّ طعن من طَعَن في إدغامه..... »[(٢)].

ومن المعاني الرائقة التي استنبطها السخاوي من قصيدة (حرز الأماني): ما أشار إليه عند شرحه البيت رقم (٧٢٨)، وهو:

يَضِلُّ بِضَمِّ اليَاءِ مَعْ فَتْحِ ضَـادِهِ صِحَابٌ وَلَمْ يَخْشَـوْا هُنَـاكَ مُضَـلِّلا

قال السخاوي ﵀: «لما كانت القراءة بفتح الياء وكسر الضاد تُعْجِب المعتزلة، ويتعلَّقون بها، قال في القراءة الأخرى: "ولم يخشوا هناك مضلِّلا»[(٣)].

وكذلك: قوله في شرح البيت (٦٥٨)، وهو:

وَحَرِّكْ وَسَكِّـــنْ كَافِيَاً وَاكْسِـــرَ انَّهَا حِمَى صَوْبِهِ بِالخُلْفِ دَرَّ وَأَوْبَلا

---

(١) وهو سَهْلُ بنُ عَبْدِ الله بنِ يُوْنُسَ أَبُو مُحَمَّدٍ التُّسْتَرِيُّ، صَحِبَ خَالَهُ؛ مُحَمَّدَ بنَ سَوَّارٍ، وَلَقِيَ فِي الحَجِّ ذَا النُّوْنِ المِصْرِيَّ وَصَحِبَهُ.
رَوَى عَنْهُ الحِكَايَات: عُمَرُ بنُ وَاصِلٍ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الجَرَيْرِيُّ، وَعَبَّاسُ بنُ عِصَامٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ المُنْذِرِ الهُجَيْمِيُّ، وَطَائِفَةٌ. وقال الذهبي: الصَّوَابُ: مَوْتُهُ فِي المُحَرَّمِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ وَمائَتَيْنِ. (ينظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣١ للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ط/ مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ، الطبعة الثالثة ت/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) فتح الوصيد: ٢/ ٣٩٤.

(٣) ينظر فتح الوصيد: ٢/ ٩٦١.

قال رحمه الله: «... ومعنى قوله "حمى صوبه بالخلف در وأوبلا": أنها قراءة ظاهرة المعنى، لم يقع فيها ما وقع في قراءة الفتح من الإشكال على من تصدَّى لإيضاح ذلك...»[(١)].

وأيضا: ما قاله عند شرحه البيت رقم (٩٢٦)، وهو:

سِوَى صُحْبَـةٍ وَاليَاءُ قَوْمِي وَلَيْتَنِي وَكَمْ لَوْ وَلَيْـتَ تُوْرِثُ القَلْبَ أَنْصَلَا

يقول السخاوي رحمه الله: «... "وكم لو وليت": يشير إلى معنى الآية وندم الظالم في يوم القيامة وعضه على يديه، وقوله ﴿ يَٰلَيۡتَنِي ﴾ [النساء: ٧٣]، فقال: وكم لو يقولها المتندم: لو فعلت كذا، وكم ليت تكون كنصل السهم يقع في القلب»[(٢)]، والكتاب مليء بالمعاني الإشارية التي ضمنها الشاطبي رحمه الله حرز الأماني[(٣)].

٥/ اهتمامه بالإحصاء والحصر:

اهتم الإمام السخاوي رحمه الله في كتابه فتح الوصيد بحصر المواضع المتعددة وإحصائها، لو كان للكلمة القرآنية أكثر من موضع.

ومن أمثلة ذلك: قوله في شرح البيت رقم (٢٠٠)، وهو:

وَمَـدُّكَ قَبْـلَ الضَّمِّ لَبَّـى حَبِيبُـهُ بِخُلْفِهِمَـا بَرَّاً وَجَـاءَ لِيَفْصِـلَا

يقول السخاوي رحمه الله: «هذه الهمزة جاءت في ثلاثة مواضع: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ [آل عمران: ١٥] في آل عمران، و﴿عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ [ص: ٨] في سورة ص، و ﴿ ءَأُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ﴾ [القمر: ٢٥] في سورة القمر... »[(٤)].

وفي باب ياءات الإضافة: ذكر ياءات الإضافة التسعة والتسعين التي جاء بعدها

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ٩٠١.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٢٦٢.

(٣) وللمزيد من الأمثلة ينظر ما قاله السخاوي في شرح الأبيات الآتية: (٦١١، ٦١٤، ٦١٩، ٧٩٦، ٩٣٨)، وغيرها من الأبيات.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ٣٠٣.

همزة مفتوحة تفصيلًا[١]، وكذلك ذكر الياءات التي بعدها همزة مكسورة[٢]، وأيضًا الياءات التي بعدها همزة مضمومة[٣].

وفي سورة البقرة: ذكر المواضع التي وردت فيها كلمة "أنا"، وبعدها همزة مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، وذلك عند شرحه قول الناظم في البيت رقم (٥٢١):

وَمَــدُّ أَنَا فِي الوَصْلِ مَعْ ضَمٍّ وَفَتْـحٍ أَتَى وَالخُلْفُ فِي الْكَسْرِ بُجِّلَا[٤]

بل إن السخاوي في بعض الأحيان كان يهتم بنظم الأبيات الشعرية للكلمة القرآنية التي وردت في مواطن عديدة، ليقرب حفظها، ويسهل ضبطها، ومن ذلك: في باب الوقف على مرسوم الخط ذكر المواضع التي رسمت فيها الكلمات الآتية بالتاء المفتوحة على هيئة أبيات شعرية، والكلمات هي: "رحمت – نعمت – سنت – امرأت – كلمت – لعنت – معصيت" ثم ذكر بعد ذلك ما أفرد وهي: "شَجَرَت – جَّنَتَ – قُرَتَ – بَقِيَّتُ – هيهات – فِطْرَتَ – مرضات – ابنت – ذات – آيات – غيابت".[٥]

٦/ الاعتناء بمعاني القرآن:

ذُكر أن الإمام السخاوي ألف كتابًا في تفسير القرآن الكريم بلغ فيه الغاية، ولقد أظهر السخاوي في كتاب (فتح الوصيد) قدرة فائقة على استقراء النصوص القرآنية واستجلاء معانيها، اعتمادا على أدوات التفسير المجتمعة لديه، واعتمادًا على ما فتح الله عليه به من فهم ثاقب وموهبة فائقة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما ذكره عند

(١) فتح الوصيد ٢/ ٥٤٦ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٦١ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٦٦ وما بعدها.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٧٣٢ وما بعدها البيت (٥٢١).

(٥) ينظر: المصدر السابق ٢/ ٥٢٦: ٥٢٩، ولم أذكر الأبيات هنا لطولها واكتفيت بذكر الكلم.

توجيهه القراءتين الواردتين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، حيث قال: «و: ﴿ٱنظُرُونَا﴾: أي أمهلونا، لأنهم أسرع بهم إلى الجنة كإسراع البرق على الركاب، وبقي هؤلاء مشاة، فكان إمهالهم وتأنِّيهم إنظارا لهم، و﴿ٱنظُرُونَا﴾ بمعنى: انتظرونا، أو: انظروا إلينا، لأن نورهم بين أيديهم، فإذا التفوا إليهم استنار طريقهم بهم»[(١)].

بل إنه كان يتعرض في كتابه (فتح الوصيد) لتفسير بعض الآيات التي أُشْكِل معناها، فعند توجيهه القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾[المائدة: ١٠٧] قال: «قرأ حفص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾، وهي قراءة أُبيّ وعلي وابن عباس، والأوليان: تثنية أَوْلى، وهو فاعل﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ فالمعنى: من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان، أي الأحَقَّان من بينهم بالشهادة، والأوليان: بأن يجردوهما للقيام بالشهادة، ويظهروا بهما كذب الكاذبين، كأن هذين الشاهدين استحقا على الذين هما منهم أن يستشهدوهما وأن يعينوهما. وقرأ حمزة وأبو بكر: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينِ﴾، على أنه وصف للذين استحق عليهم، وهو مجرور أو منصوب بأعني، وجعلهم أوَّلِين: إما لتقدم ذكرهم في أول القصة، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] أو: لتقدمهم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها. وقرأ الباقون: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾، قالوا: ومعناه: من الذين استُحِقَّ عليهم الإثم، أي: جنى عليهم، والأوليان: على هذا مرفوع على تقدير قول قائل: ومن هما؟، فقيل: هما الأوْلَيَان، أو: على البدل من "آخران"، أو: من الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾ [المائدة: ١٠٧]، أو: على الابتداء، والتقدير فالأوليان آخران ...»، ثم قال: «قال أبو محمد مكي في الكشف: وهذه الآية في قراءتها وإعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها من أصعب

(١) ينظر: فتح الوصيد مقدمة المحقق ١/ ١٩٠.

آي القرآن وأشكلها، ويحتمل أن يُبْسَط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة أو أكثر...»[(١)].

ثم قال السخاوي ﵀: «ولعمري إنها لمشكلة جدًا كما ذكر، وما رأيت أحدًا تَخَلَّص كلامه فيها من أولها إلى آخرها، وأَشْكَلُ ما فيها قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾، إلا ما ذكرته فيها من قول بعضهم». ثم قال: «ويُحْتَمَل عندي - وهو الذي لا يغلب على الظن سواه- أن معنى قوله: "اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ": أي استحق خصومهم الحق عليهم، لأن الخصمين مستحِق، ومستحَق عليه، فقد كانوا بتحليف المذكورين مستحَقًّا عليهم، فلما حصلت الريبة في الحالفين، ووقع ما شكَّك في صدقهما؛ قام آخران من الذين استحق عليهم»[(٢)].

٧/ الرد على المعتزلة، عند تعرُّضه لتوجيه الآيات التي تتكلم عن العقيدة:

إن المتأمل في مصنفات السخاوي ﵀ على اختلاف أنواعها، يجد أن السخاوي ﵀ كان لا يُخْفِي ضِيقَه من آراء أهل الاعتزال، فنراه يتعرض لآرائهم في كتابه (فتح الوصيد) ويرد المخالف منها.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما أشار إليه عند شرحه البيت رقم (٧٢٨)، وهو:

يَضِلُّ بِضَمِّ اليَاءِ مَعْ فَتْحِ ضَادِهِ صِحَابٌ وَلَمْ يَخْشَوْا هُنَاكَ مُضَلِّلا

قال السخاوي ﵀: «لما كانت القراءة بفتح الياء وكسر الضاد تُعْجِب المعتزلة، ويتعلَّقون بها، قال في القراءة الأخرى: "ولم يخشوا هناك مضلِّلا"»[(٣)].

---

(١) ينظر: كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ص ٤٢٠.

(٢) فتح الوصيد: ٢/ ٨٦٤ وما بعدها.

(٣) فتح الوصيد: ٢/ ٩٦١. في قوله تعالى من سورة التوبة الآية ٣٧ ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ حيث قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم الياء وفتح الضاد وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الضاد، والمعنى على هذه القراءة "أنهم يكتسبون الضلال به "أي بالنسيء". ينظر زاد المسير ٢/ ٢٥٨. وإنما قال الإمام السخاوي أن هذه الآية=

ومن الأمثلة أيضًا: ما أشار إليه عند شرحه للبيت (١٠٩٥) يقول: «وقال بعض المتأخرين -ويقصد به الزمخشري- يجوز أن تكون هذه النون بدلًا من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرى الوقف، أو أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف»[(١)]. وقد رد الإمام السخاوي بقوله: «وهو كلام صدر عن سوء ظن بالقراء، وعدم معرفة بطريقتهم في اتباع النقل»[(٢)].

وفي شرحه للبيت (١٤٢) ذكر رواية السوسي إدغام الضاد في الشين في قوله تعالى: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ قال: «وقد أنكر النحويون إدغامه، وطعن الزمخشري في رواية أبي شعيب، فقال: ما برئت من عيب رواية أبي شعيب على عادة المعتزلة في الطعن على الأئمة الأثبات، والنقلة الثقات»[(٣)].

٨/ اعتماده على أقوال الإمام الشاطبي في شرح بعض أبيات الشاطبية:

ومن ذلك: ما نص عليه السخاوي رحمه الله عند شرحه البيت من القصيدة، وهو:

=تُعْجِبُ المعتزلة بناءً على مذهبهم بأن العبد يخلق أفعال نفسه، ومن يراجع تفسير الزمخشري يجد أنه ذكر هذه القراءة دون تعليق لأنها لا تصطدم مع مذهبه لكن عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] فهذه الآية تصادم مذهب المعتزلة في خلق أفعال العباد وتنزيه الله تعالى عن إضلال الناس أو إرادة الضلال لهم نجد الزمخشري هنا فر إلى التأويل فقال: "من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه، كقولك: أجبته وأفحمته وأبخلته، إذا وجدته كذلك. أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة". ثم استشهد بقراءة شاذة في هذا المقام فقال: "وقرئ: (أَغْفَلَنَا قلبه)، بإسناد الفعل إلى القلب على معنى: حَسِبَنَا قلبه غافلين، من أغفلته إذا وجدته غافلا". ينظر: الكشاف ٢/ ٦٧١. وبذكره هذه القراءة الشاذة يفر من إسناد خلق الغفلة في القلب إلى الله تعالى بإسناده الفعل إلى القلب، ولذلك علق عليه ابن المنير هنا فقال: "هو يشمر للهرب من الحق".

(١) ينظر: الكشاف ٤/ ٦٨٨.

(٢) فتح الوصيد ٢/ ١٣٠١.

(٣) فتح الوصيد ٢/ ٢٤٣. وينظر: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ١/ ٥٥١. يقول الزمخشري: "والضاد لا تدغم إلا في مثلها كقولك إقبض ضعفها، وأما ما رواه أبو شعيب السوسي عن اليزيدي أن أبا عمرو كان يدغمها في الشين في قوله تعالى: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ فما برئت من عيب رواية أبي شعيب".

وَإِنَّ كِتَـــابَ اللهِ أَوْثَقُ شَـــافِعٍ وَأَغْنَـــى غَنَـــاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّـــلَا

حيث قال رحمه الله: «أخبرني شيخنا أبو القاسم رحمه الله أن بعض شيوخه سأله: هل تجد في القرآن "وفى" ثلاثيًا، كما جاء الرباعي في: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، قال: قلت: نعم، في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ١١١] لأن أفعل من الثلاثي. ثم قال شيخنا: فلو قال قائل: لعله بُنِي من ﴿أَوۡفَىٰ﴾ ، لا من "وفي"!، قلنا: الكلمة إذا جاء فيها ثلاثي ورباعي، فأفعل من ثلاثيها لا غير، وأما أعطاهم فلم يأت فيه ثلاثي. قال: والذي يدل على أنه إنما بُنِي من الثلاثي دون الرباعي: أن أكرم متعدٍّ، وكرُم غير متعدٍّ، وأكرم منك مثله غير متعدٍّ، ولو كان من أكرم لكان متعديًا مثله»[(١)].

ومنه ما: ذكره أيضًا عند شرحه البيت السابع عشر من القصيدة، وهو:

فَمَا ظَنُّكُـــمْ بِالنَّجْـــلِ عِنْـــدَ جَزَائِهِ أُولَئِـــكَ أَهْـــلُ اللهِ وَالصَّفْـــوَةُ المَـــلَا

قال رحمه الله: «والصفوة: بالفتح والكسر، لغتان فصيحتان، والضم أيضا محكي فيها، وهو السيء الخالص، والتقدير: والجموع الصفوة. قال الشيخ[(٢)] رحمه الله: "ولا يمتنع أن يكون صِفْوة بالكسر جمع صفي»[(٣)].

وأيضا: ما نصَّ عليه عند شرحه الأبيات رقم (١٢٦، ١٢٧، ١٢٨)، وهي:

وَإِظْهَـــارُ قَـــوْمٍ آلَ لُوطٍ لِكَونِـــهِ قَلِيـــلَ حُـــرُوفٍ رَدَّهُ مَـــن تَنَبَّـــلَا

بِإِدْغَامِ لَكْ كَيْدَاً وَلَوْ حَجَّ مُظْهِرٌ بِإِعْـــلَالِ ثَانِيْـــهِ إِذَا صَـــحَّ لَاعْتَلَا

فَإِبْدَالُـــهُ مِنْ هَمْزَةٍ هَاءٌ اصْـــلُهَا وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ وَاوٍ ابْدلَا

(١) فتح الوصيد: ٢/ ٨٩.

(٢) المراد بالشيخ: الإمام الشاطبي رضي الله عنه.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ١٠٧.

قال السخاوي رحمه الله: «قال الشيخ[1] رحمه الله: ﴿لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] لا يشبه ﴿لُوطٍ﴾ [الحجر: ٥٩]، لأنه قام مقام اسم لو ظَهَرَ لأُدْغِمَ، كقوله: "لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ"، وأُعْطِيَ حكمه»[2].

ونظائر ذلك كثيرة بالكتاب[3]، ومن المهم هنا أن نشير إلى أن الإمام السخاوي كان يُفَصِّل ما أجمله شيخه إذا استدعى الأمر ذلك ومن هذا ما عقده بعد نهاية شرحه الإدغام الكبير حيث عقد فصلًا لذلك، وفي نهاية باب الإدغام بين نسبة الإدغام الكبير إلى السوسي فقط بناءً على قراءته على شيخه فقال: «كان أبو القاسم يعني الشاطبي يقرئ بالإدغام الكبير من طريق السوسي لأنه كذلك قرأ ؛ ولأن رواية السوسي أعم، ولأن أبا عمرو ابن العلاء رحمه الله كان يجمع بين ترك الهمز والإدغام في الحدر وفي الصلاة»[4] وفي مقابل تعويله على أقوال الشاطبي عند شرح بعض الأبيات فإن السخاوي رحمه الله أحيانا ما كان ينتقد أقوال الشاطبي في بعض المواضع، وذلك امتثالا لأمر الإمام الشاطبي بذلك في قوله في البيت (٧٥):

وَإِنْ كَانَ خَرْقٌ فَادَّرِكْـــهُ بِفَضْلَةٍ مِنَ الحِلْـمِ وَلْيُصْلِحْـهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلَا

ومن ذلك: ما ذكره عند شرحه قول الشاطبي في البيت رقم (١٦٢):

وَقُلْ بِسُكُونِ القَافِ وَالقَصْرِ حَفْصُهُمْ وَيَأْتِهْ لَدَى طَهَ بِالاسْكَانِ يُجْتَلَى

حيث قال: «قرأ حفص ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ [النور: ٥٢] بسكون القاف وكسر الهاء من غير صلة. وقال أبو علي في الحجة:«وأما ما رواه حفص عن عاصم ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ ، فإن

(١) الشيخ هنا: الشاطبي أيضًا.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٢٢٩ وما بعدها .

(٣) انظر مثلا شرحه للبيت رقم (٢٢)، "فتح الوصيد ٢/ ١٢٥ وكذلك شرحه للبيت رقم (١٤٢)٢/ ٢٤٢ وما بعدها، (٥١١) ٢/ ٧١٣ وما بعدها ومواضع أخرى كثيرة.

(٤) فتح الوصيد ٢/ ٢٥٧.

وجهه أن "تَقْهِ" من ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ مثل "كَتْف"، فكما يسكن نحو: "كَتِف"، كذلك يسكن القاف من "تَقِه"، وعلى هذا قول الشاعر:... لم يلده أبوان»[(١)]، ومثله: فبات منتصبًا وما تكردسا[(٢)]. فلما أسكن ما قبل الهاء لهذا التشبيه، حرك الهاء بالكسر، كما حرك بالفتح في: لم يلده.

قال الشيخ أبو القاسم الشاطبي رحمه الله: «قوله: حرَّك الهاء بالكسر، غُلِّط فيه من قِبَل علمه بالقراءة، لأن أصل حفص أن يكسر هذه الهاء ونظائرها ويصلها بياء، فإن سكن ما قبل الهاء لم يصلها بياء، فلما أسكن القاف للتخفيف هاهنا، وقع قبلها ساكن، فجرى على أصله في حذف الصلة، وبقيت الهاء على الكسر الذي كان فيها، ولا يصح قول أبي علي أنه كسر لالتقاء الساكنين، لأن حفصًا لم يسكن الهاء في قراءته قط إلا في ﴿فَأَلْقِهْ﴾ [النمل: ٢٨]»

قال[(٣)]:«والذي قاله مكي رحمه الله في الكشف جيد».

قال[(٤)]:«كان يجب على من أسكن القاف ضمُّ الهاء، لأن هاء الكناية إذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن ياء ضُمَّت نحو: (منه)، و(عنه)، لكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد به، وأبقى الهاء على كسرتها التي كانت عليها مع كسر القاف».

ثم قال السخاوي - معلقًا على كلام مكي السابق الذي نقله عنه الشاطبي ووصفه بأنه جيد -: «"وإلى هاهنا كلام سديد"، ثم قال مكي بعد ذلك: "ولم يصلها بياء لأن الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية، فبقي الحذف في الياء التي بعد الهاء على أصله"»[(٥)].

---

(١) نسبه سيبويه في الكتاب إلى رجل من أزد السراة. ينظر: الكتاب ٢/ ٢٦٦.

(٢) البيت ينسب للعجاج (عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر التميمي) في كتب اللغة. ينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٢٩٩وغيره. وقد بحثت في ديوانه من رواية الأصمعي فلم أجده.

(٣) أي الشاطبي.

(٤) أي مكي بن أبي طالب، ويُنظَر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٢٤٤.

(٥) الكشف: ٢/ ٢٤٤.

ثم قال السخاوي – معلقًا على كلام مكي الأخير الذي نقله عنه الشاطبي أيضًا، ووصفه بأنه جيد –: «وهذا التعليل لا يستقيم من قبل أنه قرأ (يُؤَدِّهْ) بالوصل وشبهَه، ولو كان يعتبر ما قاله من تقدير الياء قبله، لم يصل هناك».

ثم قال السخاوي: «وإنما يقال: "إنه لَمَّا أسكن القاف حصل قبل الهاء ساكن، فلم يصل الهاء، وكسرها جريًا على أصله»[(١)].

وكما كان السخاوي رحمه الله يُعَقِّب على أقوال إمامه الشاطبي رحمه الله في شرح الأبيات، فإنه كذلك كان يُعَقِّب على النظم نفسه.

فمن ذلك: قوله في شرح البيت (٨٩)

يَرَى نَفْسَـــهُ بِالذَّمِّ أَوْلَـــــى لِأَنَّهَـــا عَلَى الـمَجْدِ لَـمْ تَلْعَقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالأَلَا

قال السخاوي: «ولو قال: "لم تصبر على الصبر والألا" لكان أحسن، لأن الألا لا يُلْعَق، وهو نبت يشبه الشِّيح رائحة وطعمًا، ولا يُسْتَعظم لَعْقه، وإنما يُسْتَعظم الصبر عليه مع عدمٍ»[(٢)].

وأيضا: ما قاله في شرح البيت (١٠٢٨)، وهو:

وَفِي قِيْلَهُ اكْسِرْ وَاكْسِرِ الضَّـــمَّ بَعْدُ فِي نَصِيرٍ وَخَاطِبْ يَعْلَمُـــونَ كَمَا انْجَلَـــى

قال السخاوي: «والصواب: "في قيله اخفض" مكان "اكسر"»[(٣)].

٩/ نسبة كل وجه إلى الطريق المأخوذ منه إذا تعددت الأوجه عن الراوي أو القارئ:

إذا ورد خلاف عن قارئ من القراء السبعة، أو راوٍ من رواتهم، فإن السخاوي رحمه الله غالبا مَّا يشير إلى الطريق الذي ورد منه كل وجه.

فمن ذلك: ما ذكره في شرح البيتين (١٠١، ١٠٢)، وهما:

---

(١) فتح الوصيد ٢/ ٢٦٢ وما بعدها.

(٢) فتح الوصيد ٢/ ١٩٣.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٢٣٨.

وَوَصْلُكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فَصَاحَـةٌ وَصِلْ وَاسْكُتَنْ كُلٌّ جَلَايَاهُ حَصَّلَا
وَلَا نَصَّ كَـلَّا حُـبَّ وَجْهٌ ذَكَرْتُهُ وَفِيهَـا خِـلَافٌ جِيدُهُ وَاضِحُ الطِّلَا

قال: «وهذا التخيير لما رُوِي عن أهل الأداء فيه، أما ابن مجاهد فرُوِي عنه الوصل لحمزة، ولمن ترك التسمية، وروي عن غير ابن مجاهد أيضًا، للعلة التي تقدمت لحمزة، وأما السكت فعليه أكثر أهل الأداء وأجلاء المتصدرين، وهو مروي أيضًا عن ابن مجاهد،... ثم قال: لا نص في ذلك عن ابن عامر وأبي عمرو، ولكنه وجه مستحب من الشيوخ، يعني التخيير من غير تحديد، وهذا قول ابن غلبون وقول الحافظ أبي عمرو ﵀ في مصنفاته، وغيرهما.

قال ابن غلبون: «لم يأت عنهما رواية منصوصة بفصل ولا بغير فصل، والمأخوذ في قراءتهما بغير فصل، وبه قرأت»[(١)].

ونقل أبو طاهر بن أبي هاشم [(٢)] عن أبي عمرو الوصل بينهما كحمزة، قال: «ولم يأتنا عن ابن عامر في هذا شيء».

وقد ذكر المهدوي وغيره عن أبي عمرو الفصل بالتسمية والوصل مثل حمزة والسكت، ... والخلاف المشار إليه عن ورش أن أبا غانم المظفر بن أحمد بن حمدان المقرئ كان يأخذ بالتسمية بين السورتين لورش في جميع القرآن، وتابعه على ذلك الآخذون عنه كالأذفُوي محمد بن أحمد وغيره.

قال الحافظ أبو عمرو: «وسائر المصريين المحققين على خلاف ذلك، يعني في رواية أبي يعقوب عن ورش، وقد روى غير أبي يعقوب التسمية عن ورش، وقد

(١) التذكرة في القراءات الثمان ١/ ٣٦.

(٢) عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم أبو طاهر البغدادي المقرىء أحد الأعلام ومصنف كتاب البيان ومن انتهى إليه الحذق بأداء القرآن (ت٣٤٩). معرفة القراء الكبار ١/ ٣١٢.

نقل ابن غلبون ترك الفصل منصوصا عن ورش»[(١)].

ومن ذلك أيضا: ما ذكره عند شرحه قول الناظم البيت (٥٧٧):

... وَقَــدْ قَــالَا فِي الَانْعَامِ قَتَّلُــوا وَبِالْخُلْــفِ غَيْبَــاً يَحْسَــبَنَّ لَهُ وَلَا

حيث قال السخاوي ﷺ: «وأما: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا)، فقال أبو عمرو ﷺ: "قرأته على أبي الفتح عن قراءته على عبد الباقي وأبي طاهر الأنطاكي بالياء لهشام، وقرأته على أبي الحسن وعلى أبي الفتح من طريق عبدالله بالتاء"»[(٢)].

لكنه أحيانًا لا يتعرض لذلك، فعلى سبيل المثال: عند ذكره الخلاف الوارد عن قالون في ضم ميم الجمع وصلتها بواو[(٣)]، لم يتعرض لذكر الطرق التي ورد منها كل وجه، وكذلك عند ذكره الخلاف الوارد عن ابن ذكوان في إدغام دال قد في الزاي من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[(٤)]، لكن ذلك نادر جدًّا، والأغلب الأعم هو ما ذكرناه أولًا[(٥)].

المطلب الثالث: الاعتناء بتوجيه القراءات القرآنية والاحتجاج لها:

حرص الإمام السخاوي على توجيه القراءات القرآنية المتواترة والاحتجاج لها، واعتمد الإمام السخاوي في توجيهه للقراءات على القرآن والسنة والآثار واللغة وغير ذلك، وإنما فعل ذلك ليؤكد على أن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها، ولا مجال فيها للرأي، ولا يجوز فيها القياس المحض، وسوف نستعرض بعض الأمثلة الدالة على ذلك فيما يلي:

---

(١) فتح الوصيد ٢/ ٢٠٤ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٨٠٤.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢١٢.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٧٤.

(٥) وأمثلة ذلك كثيرة جدا في هذا الشرح، وللمزيد من الأمثلة: ينظر ما ذكره السخاوي عند شرحه الأبيات الآتية: (١٤٣ – ١٤٨ – ٢٦٩ – ٢٨١ – ٢٨٥)، وغيرها من الأبيات.

القرآن الكريم: مثال ذلك: عند توجيهه قراءة﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة:٤] بالمد، قال: «و﴿ مَٰلِكِ ﴾ : اسم فاعل، كقوله تعالى: ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦] ...»[(١)].

وأيضا عند توجيهه قراءتي: ﴿ فَأَسۡرِ ﴾ [هود:٨١] و"فَاسْرِ"، قال: «"سَرَى" و"أَسْرَى" لغتان، ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ ﴾[الإسراء: ١]، ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾[الفجر:٤] ...»[(٢)].

السنة النبوية: مثال ذلك: قوله في توجيه قراءة (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يُغَلَّ..)-بالبناء للمفعول-: «ومعنى "يُغَلَّ": أي يُخان، أي: ما كان لنبي أن تخونه أمته في الغنيمة، ويجوز أن يكون معناه: يوجد غالًّا، ويدل على صحته: قول النبي ﷺ حين ألحُّوا عليه: «**والله لو كان لي ملء الأرض ذهبًا لقسمته عليكم، ثم لا تجدوني جبانًا ولا بخيلًا**»[(٣)].

وأيضا قوله في توجيه قراءة (الِ يَاسِينَ)-بالمد-: «... وإلياسين بالكسر، أي بكسر الهمزة، وُصِّل: أي وُصِّل مع القصر مع إسكان كسر، يعني: إسكان كسرة اللام، فيصير ءال ياسين: إلياسين، وكتبت في المصحف: "ءَالِ يَاسِينَ"، كأن اسمه ياسين، وسُلِّم على آله من أجله كما قال رسول الله ﷺ: «**اللهم صلِّ على آل أبي أوفى**»[(٤)].

بل إنه أحيانًا ما كان يُعَضِّد توجيهه بعض القراءات بوصفها بأنها قراءة النبي ﷺ.

ومثال ذلك: قوله في توجيه قراءة نافع: ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] –

(١) فتح الوصيد ٢/ ٢١٦.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٩٩٥.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٨٠٣. والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ٧/ ٢٣٦ رقم ٧٣٧٦.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٢١٢. والحديث أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه ك/ الزكاة باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة ٢/ ١٢٩ رقم ١٤٩٧.

بالضم-: «والظاهر أن قراءة النبي ﷺ كانت بالضم»[(١)]، وكذلك الأمر في توجيهه قراءة (يَحْسِبُ) -بكسر السين- [(٢)]، وقراءة ﴿يَغُلَّ﴾ [آل عمران:١٦١] -بالبناء للفاعل- [(٣)]، وقراءة ﴿نُكُرًا﴾[الكهف: ٧٤]-بإسكان الكاف - [(٤)].

ومن أمثلة توجيهه القراءات بالآثار: ما ذكره عند توجيهه قراءة ابن كثير (جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ): حيث قال السخاوي رحمه الله: «ورُوِي عن ابن كثير أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقرأ (جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ)، قال: فلا أقرأها أنا إلا هكذا»[(٥)].

وهناك سمة عامة في إيراد الإمام السخاوي للأحاديث والآثار في فتح الوصيد وهي أنه لا يذكر الأحاديث والآثار مسندة، وأمثلته كثيرة في الكتاب بما لا يدعو إلى حصره أو التمثيل له.

التوجيه بالقراءات الشاذة المروية عن بعض الصحابة والتابعين، أو المذكورة في مصاحفهم الخاصة: ومثال ذلك: قوله في توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[التكوير: ٢٤]: «وهي في مصحف عبدالله بالظاء، وكذلك قرأ، وفي مصحف أبي بالضاد، وقرأ ابن عباس بالظاء»[(٦)].

وكذلك قوله في توجيه قراءة الكسائي (هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ): «معنى قوله: "رواته": ما روي عن معاذ بن جبل أنه قال: أقرأنا النبي

(١) فتح الوصيد ٢/ ٧٥٥.
(٢) انظر: المصدر السابق ٢/ ٧٥٥.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٨٠٣.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٨٥٥.
(٥) المصدر السابق ٢/ ٦٥٤.
(٦) المصدر السابق ٢/ ١٣١١.

ﷺ: (هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ)، قال: وسمعت رسول الله ﷺ مرارًا يقرأ بالتاء، وكذلك روي أنها قراءة علي وعائشة ...»[١].

التوجيه بالنحو واللغة والشعر: إن توجيه القراءات بالنحو واللغة شائع في كتاب (فتح الوصيد)، ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما قاله عند توجيهه القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ [البقرة:٣٧]:«ووجه قراءة ابن كثير: أن ما تلقيته فقد تلقاك، فالكلمات: فاعلة، و"آدمَ": مفعول، و ﴿ ءَادَمُ ﴾ في القراءة الأخرى: فاعل، والكلمات: مفعولة. ومن الأفعال ما يستوي في المعنى إضافته إلى الفاعل والمفعول، نحو: نالني كذا، ونِلْت كذا، وأصابني كذا وأصبْتُ كذا...»[٢].

كما أنه في توجيهه قد يستشهد للقراءة بأبيات من الشعر العربي، ومثال ذلك: أنه عندما وَجَّهَ قراءة قالون والكسائي(ثُمَّ هْوَ) -بالإسكان- على إجراء المتصل مجرى المنفصل، استشهد بقول الشاعر:

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمَاً مِنَ اللهِ وَلَا وَاغِلٍ[٣]

فقال: «وقد أجروا المنفصل مجرى المنفصل في نحو: أَشْرَبْ غَيْرَ»[٤]

وأيضًا: ما قاله في توجيه قراءة ﴿يَوْمَئِذٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٧] -بفتح الميم-: «والفتح -والكلمة في موضع خفض- لأن يومئذ بمنزلة كلمة واحدة من قبل الإضافة، لأن المضاف يكتسب من المضاف إليه البناء والإعراب، إذا كان المضاف من الشائعة، نحو: يوم، وحين، وقبل...، ومن ذلك:

عَلَى حِينَ عَاتَبت المَشِيب عَلَى الصبَا وقلت ألَمَّا أصْحُ والشيب وازِعُ»[١]

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ٨٧٦ وما بعدها .

(٢) فتح الوصيد ٢/ ٦٢٩.

(٣) البيت لامرئ القيس من قصيدة "يا دار ماوية ". ينظر: ديوان امرئ القيس ص ١٣٤.

(٤) فتح الوصيد ٢/ ٦٢٨.

وكتاب (فتح الوصيد) مليء بهذه النماذج.

ومن المهم هنا أن نشير إلى أن الإمام السخاوي لم يلتزم رأي مدرسة بعينها في الكتاب؛ وإنما كان مسلكه أنه يرجح كل ما توافق مع الرواية والسماع، وهو بهذا يتفق إلى حد ما مع منهج مدرسة الكوفة في السماع، على خلاف مدرسة البصرة المتشددة في السماع والمكثرة في القياس.

المطلب الرابع: رفضه تفضيل إحدى القراءتين على الأخرى:

ينبغي التنبيه هنا إلى أن تفضيل بعض وجوه القراءة على بعض أمر جائز ولا بأس به، فتقول: "وجه هذه القراءة أقوى من وجه تلك القراءة"، وأما التفضيل المنهي عنه: فهو التفضيل الذي يُسقِط القراءة الأخرى، وهذا لا يجوز، لأن القراءات كلها منزلة من عند الله عز وجل[٢]، ولقد رد الإمام السخاوي رحمه الله على كل من تعرض للقراءات السبعة بتفضيل بعضها على بعض.

وقبل شرحه سورة أم القرآن كتب مقدمة بين فيها أنه لا يجوز تفضيل إحدى القراءتين المتواترتين على الأخرى، لأن الكل ثابت صحيح، فقال: «اعلم أن الغرض بذكر حجج القراء إبداء وجه القراءة في العربية، لا نصر إحدى القراءتين وتزييف الأخرى، لأن الكل ثابت صحيح متفق على صحته، بخلاف الخلاف في مسائل الفقه ...، ونحن نقول: إن قراءة السبعة كلها متواترة، ...وقد ظن من لا معرفة له، ومن لم يُنعم النظر من الفقهاء أن قراءة السبعة يُكْتَفى منها بواحدة، وهو غلط قبيح، بل تَعَلُّم السبعة فرض من فروض الكفاية، ...، وأما من أخذ يفضل

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٩٨٩. والبيت للنابغة الذبياني. ينظر: ديوانه ص٥٣ (قصيدة وعيد أبي قابوس).

(٢) يراجع في هذا بحث الدكتوراه للدكتور أمين إدريس فلاته "الاختيار عند القراء مفهومه، مراحله، أثره في القراءات" جامعة أم القرى تحت رقم (١٠٥٩١) مبحث لوازم الاختيار ص ٢٨٥ وما بعدها، ومبحث إيهام المفاضلة بين القراءات المتواترة أو الصحيحة ص ٥٧٩ وما بعدها.

بين القراءتين؛ فقال: المالك أعم من الملك، لأنه يضاف إلى كل متملَّك من الدواب والثياب وغيرها بخلاف الملك، فغلط لأن القراءتين صحيحتان ... »[(١)].

ومن الأمثلة التي توضح لنا موقفه من المفاضلة بين القراءات: ما ذكره في توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾: قال : «وقال الشافعي رحمه الله: أراد بالنصب قومًا، وبالجر آخرين. يعنى: أنهما نزلتا من السماء؛ فأفادت إحداهما وجوب الغسل، وأفادت الأخرى المسح على الخفين، وكذلك قال النبي ﷺ في القراءتين المختلفتين: «**هكذا أنزلت، هكذا أنزلت**»، فهذا يؤيد ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله»[(٢)].

المطلب الخامس: دفاعه عن الطعون المُوَجَّهة إلى القراءات المتواترة:

لقد دافع الإمام السخاوي رحمه الله عن القراءات المتواترة ورد قول كل من تعرض للقراءات القرآنية المتواترة بالطعن.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما قاله عند شرح البيت(١٩٩)من القصيدة وهو:

وَآئِمَّةً بِالخُلْفِ قَدْ مَدَّ وَحْدَهُ وَسَهِّلْ سَمَا وَصْفَاً وَفِي النَّحْوِ أَبْدِلَا

قال: «...ولما نظروا إلى أن أصل هذه الهمزة السكون، ضَعَّفوا قراءة من حَقَّقَ لذلك وكرهوها، والقراءة ثابتة لا تُرَدُّ بمثل هذه الخرافات»[(٣)].

وأيضًا: ما ذكره عند شرحه قراءة حمزة ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] -بكسر الياء -، حيث قال: «مصرخي اكسر لحمزة مجملا، من: أحسن وأجمل، لأن النحويين ردوا هذه القراءة وأطالوا القول فيها، قال أهل البصرة: قراءته هذه غير

(١) فتح الوصيد ٢/ ٢١٣ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٨٥٢ وما بعدها. وهذا النقل عن الإمام الشافعي لم أجده في كتبه ولا في كتب الشافعية.

(٣) فتح الوصيد ٢/ ٣٠٢.

جيدة، والقراءة صحيحة ثابتة، ولها وجه من قياس العربية قوي، وهي قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب وحُمْران بن أعين والقاسم بن معن. وقال: هو صواب، وكان ثقة بصيرًا،... ثم قال: فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة – وإن كان غيرها أشْيَع منها –، وعضَّدها من القياس ما ذكرنا، لم يجز لقائل أن يقول: إن القراءة بذلك لحن...»[(١)].

المطلب السادس: منهج السخاوي في التعامل مع آراء مَنْ سبقوه:

عندما نتحدث تحت هذا المطلب نستحضر شيئًا مهمًّا وهو أن الإمام السخاوي جعل من كون القراءة سنة متبعة وعدم المفاضلة بين القراءات المتواترة منطقة محظورة لا ينبغي الاقتراب منها، ولهذا لا يمكن أن نوافق من ذهب إلى أن الإمام السخاوي لا يرجح بين الأقوال المختلفة التي يوردها ولا يناقشها[(٢)]، ذلك أنه حدد معايير الترجيح عنده، ومن يطالع فتح الوصيد يجد أنه وقف موقف المتصدي لكل من حاول الطعن في القراءات المتواترة، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نحدد منهجه في التعامل مع آراء من سبقوه من خلال نموذجين من الأعلام ممن لهم الباع الطويل في علم القراءات، وهم: (أبو عبيد القاسم بن سلّام إمام القراءات – أبو علي الفارسي إمام النحو والقراءات).

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ١٠٣٨، وللمزيد من الأمثلة يُنْظَر أيضًا ما ذكره السخاوي عند شرحه قراءة حمزة (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذين كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ)، فتح الوصيد: ٢/ ٨٠٩، وكذلك قراءته (وَالْأَرْحَامِ) بالجر، فتح الوصيد: ٢/ ٨١٧ وما بعدها، وأيضًا ما ذكره في توجيه قراءة ابن عامر: (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَآئِهِمْ)، فتح الوصيد: ٢/ ٩١٢ وما بعدها، وكذلك ما ذكره في توجيه قراءة من وقف بالألف في قوله تعالى: (قَوَارِيرَا) ، فتح الوصيد ٢/ ١٣٠١.

(٢) كتب ذلك الباحث الجزائري مختار قديري في أطروحته للماستر ١٤٣٦هـ "الإمام علم الدين السخاوي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن جمعًا ودراسة"؛ عند تعرضه لكتاب فتح الوصيد ص/ ٩٥. بحث غير منشور، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة العلوم الإسلامية. جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي.

أولا: مع أبي عبيد القاسم بن سلّام (١٥٠- ٢٢٤هـ): من أبرز أئمة القراءات القرآنية المتقدمين أبو عبيد القاسم بن سلّام، وقد أورد الإمام السخاوي الكثير من آرائه وأقواله في كتابه فتح الوصيدن ولكن ذلك لم يمنعه من نقد آرائه التي يتعرض فيها للقراءات القرآنية بالطعن، أو بالمفاضلة بين قراءتين متواترتين، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في مقام قبوله لطرف من قوله، ورده الطرف الآخر، يقول السخاوي في توجيه القراءات الواردة في كلمة ﴿نِعِمَّا﴾[النساء: ٥٨]: «واختار أبو عبيد الإسكان ولم يرو غيره. قال: لأنها فيما يُرْوى لغة النبي ﷺ حين قال لعمرو بن العاص: «**نعْمَّا المال الصالح للرجل الصالح**»[(١)]، هكذا يُرْوى عنه ﷺ هذا اللفظ. قال: ثم هي أصل الكلمة أيضا، إنما هي (نِعْمَ)، زيدت فيها (ما)، وإنما قرأ تلك القراءة الأخرى من قرأها، للكراهة أن يجمعوا بين ساكنين: العين والميم، فحركوا العين، وهو مذهب حسن في العربية، ولكنه على خلاف الحديث والأصل جميعا»[(٢)].

وتعقبه السخاوي بقوله: «والذي قاله جيد، إلا قوله: إنما قرأوا للكراهة أن يجمعوا بين ساكنين، وقوله: ولكنه على خلاف الحديث والأصل جميعًا، إذ قد بينا أن القراءة سنة متبعة، لم يقرأ أحد من الأئمة بالقياس»[(٣)].

وفي مقام رده قوله جملة، يقول السخاوي -في توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة:٢٥١] «وقال أبو عبيد: الاختيار: ﴿دَفْعُ﴾، لأن الله ليس يغالبه أحد، إنما هو الدافع وحده»[(٤)].

وتعقَّبه السخاوي بقوله: «قلت: ومعلوم أن الناس يدافع بعضهم بعضا، والله

(١) مسند الإمام أحمد ٢٩/ ٢٩٩ حديث رقم ١٧٧٦٣.

(٢) فتح الوصيد: ١/ ١٨٠ بتصرف.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٨٠ بتصرف.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٨٠ بتصرف.

فاعل ذلك على الحقيقة، فالدفاع منه، فلا مطعن لأبي عبيد بعد هذا، وقد قدمت أيضًا أن ذلك قد يكون من الواحد، وقد قال الله تعالى: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾[التوبة: ٣٠] وتقدَّم أيضًا أنه يجوز أن يُسْتَعمل في موضع الدفع، فهذه ثلاثة أوجه تَرُدُّ ما قال»[(١)].

ثانيًا: مع أبي علي الفارسي (٢٨٨- ٣٧٧ هـ): اعتمد الإمام السخاوي رحمه الله على كتاب الحجة لأبي علي الفارسي وعوَّل عليه في توجيه كثير من القراءات القرآنية.

وقد أشاد السخاوي بأبي علي، فقال: «وقد سَعِد ابن مجاهد رحمه الله في هذا الشأن سعادة باقية على الدهر، كيف وقد التزم شرحَ كتابه أبو علي الفارسي رحمه الله»[(٢)].

وعلى الرغم من أن أبا علي الفارسي قد شرح كتاب السبعة، إلا أن الإمام السخاوي خالفه في كثير من اختياراته حين عارض المنهج الذي مضى عليه وهو أن القراءة سنة متبعة ولا مجال للرأي فيها أو القياس.

فيقول السخاوي عند شرحه البيت (١٩٩):

وَآئِمَّةً بِالخُلْفِ قَدْ مَدَّ وَحْدَهُ وَسَهِّلْ سَمَا وَصْفاً وَفِي النَّحْوِ أَبْدِلَا

«... وقوله[(٣)]: "وفي النحو أبدلا"، يريد أن من النحويين من لا يجيز فيها غير البدل نظرًا إلى الأصل، وعلى ذلك أبو علي ومن تابعه ممن لخَّص كلامه، أوجبوا البدل، وفرَّقوا بين هذه الكلمة، وبين "أعنا"، و"أءذا" من جهة أن الحركة هنا أصلية، وثَمَّ عارضة، فنظروا إلى سكونها في الأصل...»[(٤)].

---

(١) فتح الوصيد ١/ ١٨٠ بتصرف.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٨١ بتصرف.

(٣) أي: الشاطبي.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٠٢.

ثم قال السخاوي -معَقِّبا على كلامه-: «والقراءة ثابتة لا تُرَدُّ بمثل هذه الخرافات»[(١)].

ثالثًا: مع أبي القاسم الشاطبي (٥٣٨- ٥٩٠هـ) **-شيخه-:** على الرغم من مكانة الإمام الشاطبي عند الإمام السخاوي حتى إنه يحتج لنظمه ويدفع عنه كما جاء عند تعرضه لشرح البيت (١٠٦) من نظمه فقال: «إن قال قائل: قد أهمل صاحب القصيد ذكر اتفاقهم على التسمية أول الفاتحة، قلت: لم يهمله وهو مذكور في قوله: "ولا بد منها في ابتدائك سورةً ... سواها" فقد بيَّن أنه لا بُدَّ من التسمية مهما ابتدأت سورة، وأنت عند قراءة الفاتحة لا تكون إلا مبتدئًا بها على كل حالٍ...»[(٢)]؛ إلا أنه كان له استدراك على شيخه في واحد من أبيات نظمه فعند شرحه لم يمنعه إجلاله له وتوقيره إياه عن بيان الأحسن والأفضل الذي يدفع الإشكال في النظم فعند شرحه للبيتين (٧٨٩ و ٧٩٠) من النظم:

وَمَا كُرِّرَ اسْتِفَهَامُهُ نَحْوُ آئِذَا أَئِنَّا فَذُو اسْتِفْهَامِ الكُلُّ أَوَّلَا

سِوَى نَافِعٍ فِي النَّمْلِ وَالشَّامِ مُخْبِرٌ سِوَى النَّازِعَاتِ مَعْ إِذَا وَقَعَتْ وِلا

قال السخاوي: «وكان أصحاب أبي القاسم ﵀ ذكروا أن هذا البيت مشكل اللفظ فغيره فقال:

سوى الشام غير النازعات وواقعة له نافع في النمل أخبر فاعتلى

ومعناهما يعود إلى شيء واحد والأول أحسن وعليه أعول. ولو قال الشيخ ﵀:

وما كرّر استفهامه نحو آئذا أئنّا فالاستفهام في النمل كان أولا

(١) المصدر السابق.٢/ ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢١٠.

خصوص وبالأخبار شام بغيرها سوى النّازعات مع إذا وقعت وِلا

لارتفع الإشكال وظهر المراد»[(١)].

وقد أجمل الدكتور مولاي الإدريسي الملاحظات التي تتعلق بتعامل الإمام السخاوي مع من سبقوه فقال:

«إن السخاوي غالبًا ما يُسَلِّم لأقوال أئمة القراء فيما يتعلق بعرض الروايات والطرق مما لا مجال للاجتهاد فيه[(٢)]، أما إذا تعلق الأمر بتوجيه القراءات وإيراد عللها فإنه يعرض الأقوال على ميزان عقله، فيقبل ما يراه صوابًا، ويرد ما يراه مجانبًا للصواب.

* اتِّسامه بالإنصاف في الحكم على الأقوال، بغض النظر عن أصحابها؛ فلم يمنعه إعجابه الشديد بمثل أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي علي الفارسي، من نقد بعض آرائهما.

* التأدُّب مع العلماء الذين سبقوه، ولو اختلف معهم في اجتهاداتهم، غير أنه في معرض الرد على من يطعن في القراءات المتواترة، أو يُرَجِّح بين قراءتين متواترتين يكون أكثر حدَّة وأشد قسوة. ومثال ذلك ما فعله من تهكمه بالزمخشري عند طعنه في رواية أبي شعيب إدغام الضاد في الشين في قوله تعالى: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ [النور: ٦٢] فقال الزمخشري: «فما برئت من عيب روايةُ أبي شعيب» فعقب الإمام السخاوي على ذلك بقوله: «على عادة المعتزلة في الطعن على الأئمة الأثبات والنقلة الثقات»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٠٣٣.

(٢) وللمزيد من الأمثلة، يُنْظَر ما ذكره السخاوي في شرح الأبيات الآتية: (٩٩، ١٠١، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ٤٧٣، ٩٩٢)، وغيرها من أبيات القصيدة المباركة.

(٣) فتح الوصيد ٢/ ٢٤٣.

* الدقة في نقل الأقوال؛ بالنص تارة أو بالمعنى تارة أخرى، غير أنه في حالات نادرة أعوزته هذه الدقة، فينقل قولًا على غير وجهه الأصلي، ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما ذكره في توجيه قراءة ابن ذكوان (أَرْجِئْهِ)، حيث قال السخاوي: «قال أبو علي: ضم الهاء مع الهمز لا يجوز غيره، وقال: ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر غلط»[(١)]. وبالرجوع إلى قول أبي علي في الحجة، نجده يقول: «كسر الهاء مع الهمز غلط لا يجوز»[(٢)]، فالفرق بين القولين – وإن لم يكن ظاهرًا في المعنى –، فعلى الأقل في التأدُّب مع الرواة والنَّقَلة.

وفي معرض ذكره الخلف الوارد عن أبي عمرو في إمالة الراء في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ [يوسف: ١٩]، قال: «وقال أبو الحسن في التذكرة – بعد ذكره الفتح –: ورُوِيَ عن أبي عمرو بين اللفظين»[(٣)]. وبالرجوع إلى كتاب التذكرة، وجدنا أن ابن غلبون ذكر بين اللفظين قبل الفتح وليس بعده، ونص قول ابن غلبون في التذكرة هو: «ورُوِيَ عن أبي عمرو بين اللفظين وبالفتح، وبالوجهين قرأتُ له»[(٤)].

* اتصافه بالأمانة العلمية في نقل الأقوال ونسبتها إلى أصحابها، غير أنه في حالات نادرة جدًّا، فاته أن ينسب بعض الأقوال إلى أصحابها، مما يوهم أن الكلام لعلم الدين السخاوي نفسه، ومن ذلك قوله في توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: ٧]، حيث قال السخاوي: قال الفراء في الإضافة: لما اختلف اللفظان تُوُهِّم الأولُ غير الثاني، كما قالوا: حبة الخضراء، وليلة القمراء،

(١) فتح الوصيد ٢/ ٢٦٧.
(٢) الحجة في علل القراءات ٤/ ٦٢.
(٣) فتح الوصيد ط/ الرشد ٢/ ١٠١٣.
(٤) التذكرة في القراءات الثمان ٢/ ٣٧٩.

ويوم الجمعة: و "لَدَارُ الْآخِرَةِ"، وغيره من الإضافة إلى النعت.

ثم قال السخاوي:«وردَّ البصريون قوله[١]، من أجل أن الإضافة ضم شيء إلى شيء»[٢]. وهذا القول بنصه وألفاظه موجود عند أبي جعفر النحاس في كتابه: (إعراب القرآن)[٣].

اقتصاره على الكنى في نسبة الأقوال إلى أصحابها كثيرًا: مما يُلاحظ على علم الدين السخاوي أنه كثيرًا ما يقتصر على الكنى في نسبة الأقوال إلى أصحابها، لا سيما إذا تَعَلَّق الأمر بأعلام مشتركين في كنية واحدة، وإذا كان كثير منها تسهل معرفتها بالقرائن الملازمة لها، فإن بعضها الآخر يلتبس على القارئ العادي، مما قد يضطره إلى الرجوع إلى مجموعة من المصادر ليتعرف على صاحب هذا القول.

فعلى سبيل المثال: قوله في شرح البيت (٩)، وهو:

هُوَ الحُـرُّ إِنْ كَانَ الحَـرِيَّ حَوَارِيَاً لُـهُ بِتَحَـرِّيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلَا

قال: "قال أبو عمرو: الحَوَرُ في العَيْن: شدة بياض البياض وسواد السواد"[٤].

وهذه الكنية (أبو عمرو)، أطلقها الإمام السخاوي ﷺ على أبى عمرو بن العلاء البصري، وعلى الإمام أبي عمرو الداني، وعلى أبي عمرو الشيباني، وبالرجوع إلى مصادر اللغة تبين أن صاحب هذا القول هو: أبو عمرو الشيباني»[٥].

المطلب السابع: موقفه من زيادات القصيد:

لقد نظم الإمام الشاطبي ﷺ هذه القصيدة المباركة، جاعلًا كتاب (التيسير في

(١) أي: الفراء.

(٢) فتح الوصيد ط/ الرشد ٢/ ١١٥٢.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٩٨.

(٤) فتح الوصيد ٢/ ٨٣.

(٥) ينظر : فتح الوصيد ط/ الرشد ١/ ١٨٥ مقدمة المحقق د. مولاي الإدريسي بتصرف.

القراءات السبع) للحافظ أبي عمرو الداني أساسه ومصدره الذي قَعَّد عليه أصوله وأبوابه ومسائله وفروعه، ثم أضاف إليها إضافات مهمة، تحتاج إلى الشرح والبيان والتحقيق والتحرير، فجاءت هذه القصيدة كأصلها:

٦٨- وَفِي يُسْـرِهَا التَّيْسِيرُ رُمْتُ اخْتِصَارَهُ فَأَجْنَتْ بِعَوْنِ اللهِ مِنْهُ مُؤَمَّـلَا

٦٩- وَأَلْفَافُهَـا زَادَتْ بِنَشْـرِ فَوَائِدٍ فَلَفَّتْ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تُفَضَّـلَا

وقد تعددت مواقف الإمام السخاوي في هذه الزيادات، ففي بعض الأحيان: كان يشير إليها بقوله: "وهذا من زيادات القصيد".

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند شرحه قول الناظم (١٧٤):

وَمَا بَعْدَ هَمْزِ الوَصْلِ إِيْتِ وَبَعْضُـهُمْ يُؤَاخِذُكُمْ آلَانَ مُسْتَفْهِمَاً تَـلَا

حيث قال: «وأما ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، و﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ [يونس: ٥١ -٩١] في يونس في الموضعين، و ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾[النجم: ٥٠] فهو من زيادات القصيد»[(١)]، وكذلك: عند شرحه قول الناظم (٩٣٨):

مَعَ السُّوقِ سَاقَيهَا وَسُوق اهْمِـزُوا زَكَا وَوَجْـهٌ بِهَمْـزٍ بَعْدَهُ الوَاوُ وُكِّـلَا

قال: «وأما ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَـاقِ ۝٣٣﴾ [ص: ٣٣] فوجهه أنه لما اجتمع واوان، هُمِزت الأولى لانضمامها، ولم يذكر هذا الوجه في التيسير ولا في قراءة ابن كثير»[(٢)].

وفي مقابل ذلك: كان السخاوي أحيانًا يتجاهل هذه الزيادات ولا ينص عليها، ومن ذلك:

* زيادة وجه التحقيق لهشام في حرف فصلت، وهو: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى

(١) فتح الوصيد ط/ الرشد: ٢/ ٢٧٦ شرح البيت رقم ١٧٤

(٢) المرجع السابق: ٢/ ١١٥٩، شرح البيت رقم ٩٣٨، وللمزيد من الأمثلة يُنظر ما ذكره السخاوي عند شرحه الأبيات الآتية: (٢٠٠ - ٢٠٥ - ٦٥٣ - ٧٧٤)، وغيرها من الأبيات.

خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ٩] [(١)].

* زيادة وجه القراءة بالإبدال لورش وقنبل في الهمزتين من كلمتين[(٢)].

* زيادة وجه النقل لحمزة في الوقف على الكلمة التي نقل همزتها ورش[(٣)].

ولو أردنا أن نحدد موقف الإمام السخاوي من القراءة بزيادات القصيد نجد أنه وافق الإمام الشاطبي فيما زاده على التيسير وتبعه في ذلك، ونبَّه على منشأ تلك الزيادات من كتب الداني في غير التيسير إيمانًا منه بأن الإمام الشاطبي لم يفعل شيئًا يوجب الاختلاف على فعله هذا من حيث القراءة بما زاده أو المنع من ذلك، إيمانًا منه بما استقر عند علماء القراءات، وبما نصت عليه كتبهم بأن الرواية إذا صحت وجب المصير إليها[(٤)].

والله تعالى أَعْلى وأعْلم.

(١) المرجع السابق:٢/ ٣٠٠ شرح البيت رقم ١٩٨.

(٢) فتح الوصيد: ٢/ ٣٠٧.شرح البيت ٢٠٦.

(٣) فتح الوصيد: ٢/ ٣٣٢ شرح البيت رقم ٢٢٧.

(٤) ينظر ما زاده الإمام الشاطبي في حرز الأماني على التيسير للإمام الداني بين القراءة والمنع، د/ سامي بن محمد سعيد عثمان عبد الشكور، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثامن ذو الحجة ١٤٣٠هـ ص ٢٤.

الخاتمة

وتتضمن أهم نتائج البحث

بعد هذه الجولة المختصرة التي قمت بها فيما يتعلق بموضوع: **(الإمام السخاوي ومنهجه في شرح الشاطبية)**، فإنني قد تَوَصَّلْتُ من خلال بحثي لهذا الموضوع إلى النتائج التالية:

* يُعَدُ كتاب **(فتح الوصيد في شرح القصيد)** للإمام السخاوي، من أول الشروح التي وصلت إلينا لقصيدة حرز الأماني للشاطبي، فنال بذلك مزية التقدم.

* أن كتاب (فتح الوصيد) من أهم الشروح للشاطبية، لأن السخاوي تَتَلْمذ على الشاطبي مباشرة، واستفاد منه في إيضاح بعض معانيها، فكان السخاوي أعرف الناس بمقاصد الإمام الشاطبي.

* أن المؤلف أراد من هذا الشرح إبراز مكانة هذا العلم الشريف تقربًا إلى الله عز وجل من خلال شرحه منظومة أستاذه التي تشتمل على البركة، ولذلك سمى شرحه فتح الوصيد فنالت الشهرة بخلوص المقصد كما ذكر ذلك العلماء.

* أن منهج الإمام السخاوي في كتابه (فتح الوصيد) كان مبنيًّا على التمسك بالسماع مهما كان، معرضًا عن القياس مهما كانت درجته ومكانة وكثرة من قال به، معلنًا شعار أن القراءة سنة متبعة ولا مجال للرأي فيها أو القياس المحض.

* يُعتبر كتاب (فتح الوصيد) – مع كونه كتابًا في القراءات – كتابًا في الاحتجاج للقراءات، وإيراد العلل لها، ودفع المطاعن عنها.

* يتميز كتاب (فتح الوصيد) بسهولة العبارة وإيضاح المعنى بما يسهل على قارئه تناوله.

* يَتَبَيَّن لنا – من خلال دراسة كتاب (فتح الوصيد) – أن الإمام السخاوي جمع في كتابه هذا من المصادر التي أتى عليها الزمن مثل كتاب القراءات لأبي عبيد

القاسم بن سلام وغيره.

* تأثر الشُرّاح لقصيدة حرز الأماني بعد الإمام السخاوي بهذا الكتاب وبصاحبه واضح في شروحهم، فكل من شرح الشاطبية بعد المؤلف كان عالة على هذا الكتاب.

والله تعالى من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- **الاختيار عند القراء مفهومه، مراحله، أثره في القراءات**. بحث دكتوراه للدكتور أمين إدريس فلاته جامعة أم القرى تحت رقم (١٠٥٩١).

٢- **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع** للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي، ط/ دار الكتب العلمية ب/ ت/ تحقيق إبراهيم عوض عطوة بدون تاريخ.

٣- **إعراب القرآن**: للعلامة أحمد بن محمد المعروف بالنحاس، تحقيق د/ زهير غازي زاهد، ط/ عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى** لعلي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ الأولى.

٥- **الإمام علم الدين السخاوي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن جمعًا**، بحث غير منشور للباحث/ مختار قديري ١٤٣٦هـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية.. جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي.

٦- **الأوسط** للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، ط/ دار الحرمين – القاهرة بدون تاريخ ت/ طارق بن عوض الله ابن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٧- **البداية والنهاية** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الناشر:ط/ دار إحياء التراث العربي الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨م.

٨- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** للإمام جلال الدين السيوطي، ط/ المكتبة العصرية لبنان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم بدون تاريخ.

٩- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م الأولى تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري.

١٠- **التذكرة في القراءات الثمان** لأبي الحسن طاهر بن غلبون، ت/ أيمن رشدي سويد، ط/ سلسلة أصول النشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن.

١١- **التذكرة في القراءات الثمان**، للإمام أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم ابن غلبون، ت/ د.أيمن سويد، ط/ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة بدون تاريخ.

١٢- **الجامع الصحيح** لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط/ دار طوق النجاة الأولى ١٤٢٢هـ ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر.

١٣- **الحجة في علل القراءات**: للعلامة الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبو علي، ت/ بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق/ بيروت الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

١٤- **ديوان النابغة الذبياني**، ص٥٣ (قصيدة وعيد أبي قابوس)، ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

١٥- **ديوان الهذليين**، ط/ الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

١٦- **ديوان امرئ القيس**، ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٧- **زاد المسير**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت/ عبد الرزاق المهدي ط/ دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٢٢هـ.

١٨- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، ط/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣ه تحقيق د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو.

١٩- **غاية النهاية في طبقات القراء** شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

٢٠- **فتح الوصيد في شرح القصيد** لعلم الدين السخاوي، تحقيق ودراسة لسورة الفاتحة والبقرة بحث دكتوراه سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م تحت رقم (١٥٨) غير منشور بكلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر بطنطا أ.د/ نبيل محمد إبراهيم الجوهري .

٢١- **فتح الوصيد في شرح القصيد**: للعلامة أبي الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق/ ش. جمال الدين محمد شرف، ط/ دار الصحابة للتراث بطنطا. بدون تاريخ .

٢٢- **فتح الوصيد**: بتحقيق د. محمد مولاي الإدريسي الطاهري، ط/ مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٣- **كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها**، لمكي بن أبي طالب القيسي ت/ د. محي الدين رمضان، ط/ مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٤- **الكتاب**، لسيبويه، ط/ دار الجيل بيروت الأولى ت/ عبد السلام هارون بدون تاريخ .

٢٥- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٢٦- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، للعلامة أبي محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق/ ش. عبد الرحيم الطرهوني، ط/ دار الحديث. بدون تاريخ.

٢٧- **ما زاده الإمام الشاطبي في حرز الأماني على التيسير للإمام الداني بين القراءة والمنع**، د/ سامي بن محمد سعيد عثمان عبد الشكور مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد الثامن ذو الحجة ١٤٣٠هـ.

٢٨- **مسند الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني**، ت/ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ط/ مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٩- **معجم الأدباء** لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت/ إحسان عباس ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٠- **معرفة القراء الكبار** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ، ط/ دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

٣١- **المفصل في صنعة الإعراب** للإمام محمود بن عمر الزمخشري، ط/ مكتبة الهلال بيروت ١٩٩٣م ت/ علي بو ملحم.

٣٢- **وفيات الأعيان**، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، ت/ إحسان عباس ط/ دار صادر بيروت بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٥٩
المقدمة	٦٠
خطة البحث	٦٤
المبحث الأول: التعريف بالإمام السخاوي	
المطلب الأول: اسمه ونسبه	٦٦
المطلب الثاني: مولده ونشأته	٦٦
المطلب الثالث: أهم شيوخه	٦٧
المطلب الرابع: مكانته العلمية وأهم مؤلفاته	٦٨
المطلب الخامس: أهم تلاميذه	٧٠
المطلب السادس: وفاته	٧٠
المبحث الثاني: منهج الإمام السخاوي في شرح الشاطبية، من خلال كتاب (فتح الوصيد)	
المطلب الأول: أهمية كتاب (فتح الوصيد في شرح القصيد)	٧١
المطلب الثاني: منهج الشرح والأسلوب	٧٢
المطلب الثالث: الاعتناء بتوجيه القراءات القرآنية	٨٨
المطلب الرابع: رفضه تفضيل إحدى القراءتين على الأخرى	٩٢
المطلب الخامس: دفع المطاعن عن القراءات المتواترة	٩٣
المطلب السادس: منهج السخاوي في التعامل مع آراء من سبقوه	٩٤
المطلب السابع: موقفه من زيادات القصيد	١٠٠
الخاتمة	١٠٣
فهرس المصادر والمراجع	١٠٥
فهرس الموضوعات	١٠٨